هكذا علمني رمضان

د. هاني درغام

حقوق الطبع محفوظة

طيبة

للنشر والتوزيع

اسم الكتاب	هكذا علمني رمضان
المؤلف	د. هاني درغام
مقاس الكتاب	15 × 20
عدد الألوان	2 لون
رقم الإيداع	2013 / 11393

تليفون: 02 29733266 موبايل: 0100 20047865

٤٢ شارع رياض - حلوان - القاهرة

E-Mail: Tibaadv@yahoo.com

لمن هذا الكتاب

• هل يشكو قلبك من طول الغفلة وتراكم الران وذبول زهرة الإيمان؟

• هل تعاني من الكسل والوهن وتحاول التخلص من سموم الهوي وأشواك العصيان؟

• هل ترغب في الإنتصار على الشيطان قبل أن يفترسك وتصبح في خبر كان؟

• هل أوشكت نفسك على الغرق في بحار الدنيا تتقاذفك أمواج شهواتها وأنت تتوق إلى شاطئ الأمان؟

• هل تشتاق إلى أعمال ترجح بها كفة الميزان وتنال بها العفو والغفران وتنجيك من عذاب النيران وتوصلك إلى نعيم الجنان؟

إذا كانت الإجابة «نعم»..

فاقرأ كتابي «هكذا علمني رمضان»

بعينان مبصرتان

وأُذنان واعيتان

وقلب يقظان

نداء إلى قلبي الأسير

يا أسير قيود المعاصي والسيئات..

يا من أثخنته جراحات الهوي واكتوي بنيران الشهوات..

يا من أصبح ريشة في مهب رياح الغفلات..

يا قلبي الكليل..

كلما تأملت حالك في ميدن الطاعات.. وجدت فتورًا في طلب الخيرات.. كسل في العبادات.. استسلام للمغريات.. تثاقل عن الأعمال الصالحات.. خور في أداء الواجبات.

عجبًا لك يا قلب...

تركض في الدنيا ركض الذئاب..

وإذا ظهرت لك لذة أو شهوة أسرعت السعي والذهاب..

اغتررت بزخرف الدنيا ونسيت أنها سريعة الإنقلاب.

ويحك ما أقساك..

متى تقرع الباب؟ متى العودة والمتاب؟

فيا قلبي العليل..

هبت عليك نفحات شهر رمضان فاغتنمها ونسائم خيراته فاهتبلها علها تُقلم أظافر شهواتك وتحطم قيود غفلاتك وتكسر سلاسل آثامك.

فانتبه.. قبل أن تسمع الصيحة بالحق فلا قيمة في التوبة ولا فرصة للعودة ولا أمل في الرجعة.. فلو ناديت يومئذ:

﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ كَلَّآۚ﴾

لم يُسمع نداؤك ولم يُقبل رجاؤك وسمعت النداء الحق:

﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾

[المؤمنون ٩٩- ١٠٠]

إذا ذهب رمضان ولم يغفر لك.. فبأي شيء تفرح؟

إذا لم يُكتب اسمك في سجل الفائزين.. فبأي سلعة تربح؟

إذا لم تستغل هذه الأوقات الفاضلة.. فمتى تفلح وتنجح؟

فيا قلبي المسكين..

الحق الركب وأدرك القافلة وحِث الخطي وأسرع السير.. واركب معنا في سفينة النجاة.

مقدمة

الحمد لله الذي جعل مواسم الخيرات نزلا لعباده الأبرار، وهيأ لهم فيها من أصناف نعمه وفنون كرمه كل خير غزير مدرار، وجعلها تتكرر كل عام ليوالي على عباده الفضل ويحط عنهم الذنوب والأوزار.. أحمده أن جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد التيقظ والشكر والادكار، وأشكره أن جعل شهر رمضان أفضل المواسم الكريمة التي تضاعف فيها الأعمال وتربح بضائع التجار.. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له العزيز الغفار.. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله النبي المختار.

أما بعد...

إن العبادات مصادر أساسية ودائمة ومتجددة للزاد الذى يزكى النفس ويصفيها من شوائب الحيوانية الملازمة لها من أصل الجبلة ويسمو بها عن جواذب الأرض.. ويطهر النفس من أدرانها وينمي فيها ملكات الخير والرحمة.

فكل ما شرعه الله من عبادات إنما يرمي إلى تهذيب النفس وترقيق مشاعرها وإرهاف حسها وتوجيهها إلى الحق والحد من طمعها وجشعها.. والسيطرة على أهوائها ونوازعها وفطامها عن اللذة واللهو وكفها عن الأذي واللغو.

وكل عبادة من هذه العبادات لها زادها وأثرها التربوي الذي يغاير زاد وأثر العبادات الأخري من بعض الجوانب بحيث يكمل بعضها بعضا.. وكما أنها تغطي جوانب شخصية المسلم فهي كذلك تغطي أيام حياته.. فنجد منها المتكرر يوميًا كالصلاة خمس مرات في اليوم ومنها المتكرر شهرًا كل عام كصيام رمضان.. ومنها ما يتم حسب الأحوال كالزكاة والحج حسب الاستطاعة والإمكان.

أما شهر رمضان..

فهو مدرسة تربوية وواحة روحية يتلقي المسلمون فيها جرعات تعليمية نافعة ودروسا إيمانية جامعة تفي بحاجات النفس وتلبي متطلباتها النفسية.. فهو بمثابة مصحة يدخل

فيها المسلم شهرًا كاملاً يعالج فيها من كل العلل والأمراض ليخرج منها مع العيد معافي من كل داء فرحا بصيامه وشفائه.. «فبعد أحد عشر شهرًا قضاها المسلمون في جهاد العيش وصراع المادة فقاسوا في صيفها سُعار الشهوات، وكابدوا في خريفها خمود المشاعر وعانوا في شتائها موت الضمائر يأتيهم ربيع الأرواح في رمضان فيحيي موات قلوبهم بالبر، ويوقظ رواقد نفوسهم بالذكر، ويرجع بأرواحهم إلى منبعها الأزلي فتبرأ من أوزار الحياة وتطهر من أوضار المادة، وتتزود من مذخور الخير بما يقويها على احتمال المحن والفتن في دنيا الآمال والآلام بقية العام كله»[1].

• **رمضان..** يحرّك النفوس إلى الخير، ويسكنها عن الشر، فتكون أجود بالخير من الريح المرسلة، وأبعد عن الشر من الطفولة البلهاء، ويطلقها من أسر العادات ويحرّرها من رقّ الشهوات، ويجتثّ منها فساد الطباع، ورعونة الغرائز، ويطوف عليها في أيّامه بمحكمات الصبر، ومثبّتات العزيمة، وفي لياليه بأسباب الاتصال بالله والقرب منه .

• **رمضان..** ثلاثون عيدًا من أعياد القلب والروح، تفيض أيامها بالسرور، وتشرق لياليها بالنور ويكثر في مجالسها بالأنس ويغمر فيها الصائمين فيض من الشعور الديني اللطيف يجعلهم بين صحوة القلب ونشوة الجسد في حال استغراق مع الله.. فهو موسم الطاعات وملاذ النفحات، ومواقيت الروحانيات، ومستمطر الرحمات.

«ألا ما أعظمك يا شهر رمضان! لو عرفك العالم حق معرفتك لسمَّاك مدرسة الثلاثين يومًا».

نعم.. مدرسة يتخرج المؤمن منها:

الإخلاص لله شعاره.. والنصح والإحسان للعباد دثاره، والنشاط إلى الأمور النافعة أنيسه.. والعلم النافع والعمل الصالح جليسه.. جوارحه في خدمة مولاه.. لسانه يلهج بذكره وقلبه ينبض بشكره وعينه تُخرج مكنون الحب بدمع صادق.. لا يفكر ولا يقوم ولا

(١) من مقال مرحبا بربيع القلوب ..الأستاذ أحمد الزيات.

يقعد إلا والله عز في علاه أجلّ شيء لديه.

أيها الغافلون..

لو دعاكم ملك من ملوك الدنيا للوفود إليه ليهب لكم شيئا من حطام الدنيا ويُقربكم إليه.. ولو ذُكر لكم موضع قريب أو بعيد تربح فيه البضائع وتستفيد لسارعتم إلى ذلك مُشاة ورُكبانا.. ولتسابقتم إليه جماعات وأفرادًا مع قلة ما يحصل لكم وفنائه، وتعب كل منكم وعنائه، ومشقته وشقائه..

فما بالكم والله عزوجل يدعوكم في هذا الشهر الكريم ليحسن قراكم ويكرم مثواكم ويغفر ذنوبكم ويزيل شقائكم ويجزل لكم الخيرات ويحقق رجائكم..

﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [يونس ٢٥]

- أما آن للعصاة أن ينغمسوا في نهر الصيام، ليطهروا تلك الأجسام من الآثام ويغسلوا ما علق بالقلوب من الحرام.
- أما آن للمعرضين أن يدخلوا من باب الصائمين على رب العالمين ليجدوا الرضوان في مقام أمين.
- أما آن لثياب العصيان أن تُخلع في رمضان ليُلْبس الله العبد ثياب الرضوان وليجود عليه بتوبة تمحو ما كان من الذنب والبهتان.

فمال القلوب عن قبول المواعظ نافرة؟

ومال النفوس معرضة عن التذكرة كأنها بها ساخرة؟

ومال الهمم عن العمل الصالح فاترة؟

أغرتكم الأماني والآمال الحاضرة؟!..

أين أصحاب العقول النيرة والقلوب الحية والهمم العظيمة والعزائم القوية والنفوس المتوثبة؟

أين التائبون عن الآثام؟

أين النادمون على الإجرام؟

أين الباكون من خشية الملك العلام؟

أين المجتهدون في العمل لدار السلام؟

أين الراغبون في جزيل الثواب؟..

أين المشفقون من أليم العذاب؟..

أين العاملون ليوم الحساب؟

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران ٣٠].

فما أسعد عبدًا دعاه مولاه إلى طاعته فأجاب.. وما أشقي عبدا دُعي فلم يقرع الباب، وما أقسي قلبا عُطف إلى الإنابة فما أناب.. يسمع المواعظ فكأنه عنها في حجاب.

إخواني في الله..

هلموا إلى ربكم.. فالمجال مفسوح.. والميدان مفتوح.. والفرص كثيرة وأبواب الخير متعددة ومجالات البر متنوعة

﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين ٢٦].

اللهم أهل علينا هلال رمضان بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام وتقبل منا الصيام والقيام وتجاوز عن الخطايا والآثام.

اللهم اجعل رمضان هذا العام عام خير وعزة ونصر للإسلام والمسلمين واغفر لنا زللنا وإسرافنا في أمرنا فيما مضي من أيامنا وأعوامنا وأعمارنا.. وتجاوز عن سيئاتنا وامح لوثاتنا وارفع درجاتنا.. أنت مولانا فنعم المولي ونعم النصير

محبكم في الله

هاني محمود درغام

التوبة.. ميلاد جديد

تصحيح مسار:

كالعادة استقبل شهر رمضان من كل عام وأنا مُثقل بالذنوب والآثام.. غارق في كسب الشهوات والحطام.. فهذه نظرة محرمة.. وهذه غيبة.. وهذا تقصير في الصلوات.. وتكاسل عن صلة الأرحام.. وضياع الأوقات في الملهيات.. وتقصير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكرات.. حتى إذا دخل رمضان بدأت في إعادة ترتيب أوراقي ومعالجة سلبياتي، وتداركت هفواتي وزلاتي.. وسارعت إلى التوبة النصوح من جميع أخطائي وعثراتي.

وهكذا النفس الإنسانية تهفو إلى السيئات، وتنزع إلى الشرور، وتتعرض في مخالطتها الآخرين إلى ضروب من الفتن والمغريات المحرجة.. وهي بحاجة إلى توبة متجددة متكررة، تمسح عنها هذه الأكدار، وتمحو هذه الآثار مثلما يحتاج الجسد إلى أنواع الغسل وضروب المطهرات.

رباه..

«ما أجمل التوبة.. وما أعظم مشاعر العبد التائب الراجع إلى مولاه، وكم تكون الدنيا ضيقة كئيبة لولا هذه النعمة، نعمة التوبة والمغفرة.. نعمة التوبة التي ننعم ببردها ونستظل بظلالها بعد أن تلفحنا المعاصي، فنلجأ إلى أفيائها.. لكأن التوبة نهرٌ عذب جار يتطهر العبد به من أدرانه، ينغمس في مياهه من لوثه الشهوات، واكتوى بنار المخالفات فإذا النهر مغتسلٌ باردٌ يطفئ تلك النار، ويغسل تلك الأوزار، فيخرج العبد منه نقيًا من الأوساخ والشوائب»[1].

(١) من مقال التوبة للأستاذ أحمد الحموي.

رمضان والتوبة:

«ما أجمل أن يكون رمضان هو مكان ميلاد التوبة في النفس وزمنها، ذلك لأن التوبة كالنبتة الجديدة التي تحتاج إلى مزيد اهتمام، فلو تركت ولو مدة يسيرة دون سقي ورعاية ربما ذوت «ذبلت» وفقدت حياتها، ولكن رمضان بجوه الإيماني الشفاف وما يمتلئ به من فضائل الأعمال وما يراه التائب فيه من إقبال الآخرين على الطاعة كل ذلك مما يشجع على الاستمرار في التوبة وتثبيت أركانها في النفس التي تتمثل في بغض الذنب والندم على فعله والإقلاع عنه والعزم على عدم الرجوع إليه مرة أخرى ورد الحقوق إلى أصحابها»[1].

ففي رمضان..

تُفتح أبوابُ الأمل في وجوه المذنبين الذين أطاحت بهم الشياطين في فخاخها، وأوقعتهم في شباكها، وأحاطت بهم خطاياهم من كل جانب حتى اشتد قلقهم وتوجسهم منها، لأن الله الكريم الحليم هيّأ لهم الأجواء، وقلل عنهم سبل الإغواء، وأخرس ألسنة الشياطين الأعداء، وشَلَّ حركاتهم، وأزال وساوسهم، وجعل أرواح المؤمنين تستجيب لأوامره سبحانه، وأخمد نيرانَ الشهوات، وأضعف حدة الهوى في نفوسهم، وما ذلك إلا ليتوبوا ويسلكوا سبيل التائبين النادمين المقبلين على الله.

حقيقة التوبة:

التوبة:

هي الرجوع إلى الله والإنابة إليه والانكسار بين يديه، والتذلل له، والاعتراف بتقصير النفس وتفريطها في حقوقه وطاعته.

(١) أنوارك يا رمضان ص١٠ د. خالد الحليبي.

يقول الإمام القرطبي:

«التوبة: هي الندم بالقلب، وترك المعصية في الحال، والعزم على ألا يعود إلى مثلها وأن يكون ذلك حياءً من الله».

من يلبي دعوة الرحمن؟

قال الله عزوجل:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر ٥٣]

إنها دعوة لنا جميعا بلا استثناء إلى الباب المفتوح، إلى الروضة الغناء التي لا يذبل زهرها، ولا تذوى رياحينها وورودها، إلى التوبة النصوح.. دعوة إلى هجرة عالم الخطايا والسيئات إلى عالم الطاعات والعبادات.. دعوة للانتقال الكلي من دنيا الشيطان وغواياته إلى رحاب الإسلام وأنواره.. دعوة إلى ولادة روحية جديدة نتدارك فيها تفريطنا ونبادر أوقاتنا حتى نلحق بمدرسة عباد الرحمن ونثأر من الشيطان.

فيا غافلاً في بطالته.. يا من لا يُفيق من سكرته..

أين ندمك على ذنوبك؟

أين حسرتك على عيوبك؟

إلى متى تؤذي بالذنب نفسك وتضيع يومك تضييعك أمسك؟

لا مع الصادقين لك قدم، ولا مع التائبين لك ندم، هلا بسطت في الدجى «الظلمات» يدا سائلة، وأجريت في السحر دموعا سائلة؟

إخواني في الله..

أنا لا ألوم الذينَ يُذنِبونَ، ولكنّي ألوم الذين يُصرّونَ على ذُنوبهمْ ولا يتوبُونَ إلى بارِئهمْ.. ولا ألوم الذينَ يُكرّرونَ الذنْبَ بِدَافع ضَعْفِهِم المُركّب، ولكنّي ألوم

الذينَ لا يُحاولون أن يتخلصوا من هذه الآثام بعد معرفتهم إياها وخوفهم من الله في نهايتها وإيمانهم بمراقبة الله إياهم.

فيا قلبي العليل..

كلما ناداك منادي الإيمان أن ارجع عن غيك! لهجت بالاستغفار، وأضمرت في قلبك الإصرار، وربما سوفت توبتك إلى أجل غير مسمى فلم الانتظار؟.. فإلى متى هذه الغفلات؟!، وإلى متى المغالطات؟! فاحذر أن يدركك الموت وأنت على المعصية قائم.. وفي دروب التيه هائم.. تمنّي نفسك بالتوبة ولا تتوب.. وتهمس بالإقلاع ولا تؤوب.. وقد غرتك أعمالك وسحرتك آمالك.. حتى فاجأتك المنية.. وحل بك الندم! وقد فات الأوان.. فيا حسرة عليك لو باغتك الموت ووصلت الروح إلى الحلقوم فحينئذ لا تقبل منك توبة ولا ينفعك ندم..

﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ [النساء ١٨].

ويحك يا قلب..

نيران الاعتراف تأكل خطايا الاقتراف، ومجانيق الزفرات تهدم حصون السيئات، ومياه الحسرات تغسل أنجاس الخطيئات.

فيا ليت شعري ما اسمي عندك يا علام الغيوب، وما أنت صانع في ذنوبي يا غفار الذنوب، وبم يختم عملي يا مقلب القلوب.

وصية عملية:

** من الآن أعلن توبتك من كل الذنوب والسيئات والتقصير في الطاعات والمخالفات، واعلم أنه من ندم على ما مضى من الزلات، وأقلع في الحال عن الخطيئات وعزم أن لا يعود في مستقبله إلى الجنايات- فقد قام بشروط التوبة.

** إذا أوقعك الشيطان في المعصية بعد رمضان فعليك بالتوبة الفورية واحذر التسويف ولا تيأس من كثرة العودة إلى الذنوب مادمت كلما تعثرت تتوب.

** احرص على قراءة سير التائبين.. ففي قصصهم ترقيق للقلب وتحفيز للنفس وأنصحك بكتاب «العائدون إلى الله» للشيخ محمد عبد العزيز المسند.. ويمكنك تحميله وقراءته من موقع صيد الفوائد.

«عليكم بالتوبة فإنها ترد عنكم ما لا ترده السيوف».

[الفضيل بن عياض].

شوقًا إلى الجنة

هل تشتاق إلى موطنك الأصلي؟

• هل تذكر يومًا وأنت في طريق عودتك إلى مدينتك أو بلدتك بعد رحلة طويلة أو قصيرة سافرت فيها بحثًا عن الرزق والمعاش أو طلبًا للعلم أو العلاج.. هل تذكرت مشاعر الشوق والحنين وأنت في طريق عودتك وأنت تُمنّي نفسك بالوصول إلى بيتك حيث الراحة والسكينة والطمأنينة؟

• هل علمت أنك مخلوق أخروي بالدرجة الأولي تنتظر مثلما ينتظر المسافر الفرصة المناسبة للعودة إلى وطنك الأصلي.. «الجنة»؟ وهذا ما صرح به إبراهيم بن أدهم رحمه الله فقال:

«نحن نسْلٌ مِن نسْل الجنَّة، سبَانا إبليس منها بالمعصية، وحقيقٌ على المسبي ألا يهنأَ بعيشه حتى يرجعَ إلى وطنه».

أواه.. إنها الجنة:

هل تشتاق إليها؟؟ هل تحن إليها؟

قل لي بربك.. كم مرة تفكر فيها في اليوم أو في الأسبوع أو حتى في الشهر؟

واحسرتاه...

لقد طغي ظلام المادة في حياتنا على نور الحق وسمو الروح.. واستحوذت الدنيا بمُتعها التافهة الزائلة على اهتمام الكثير من الناس وصارت أكبر همهم ومبلغ علمهم وشغلوا بها عن الحياة الآخرة الدائمة ونعيمها.

دعني أسألك.. كم مرة تفكر في الدنيا في الساعة أو في اليوم؟

ما الذي يشغل بالك في هذه اللحظة؟

هل شيء غير المال والبنين والملبس والمطعم والشهادات والألقاب والأفكار

التافهة والنزوات الفارغة الوضيعة ومطالب النفس الحيوانية الباطنة والظاهرة إلا من رحم ربك؟

رمضان ونسائم الجنان:

ما أجمل أن تستغل رمضان هذا العام للتحرر من أسر هذه المادية البغيضة.. لتستعيد النفوس شوقها ولهفتها إلى الجنة، وتسترجع الروح سموها وصفائها.. كيف لا وفي شهر رمضان تفتح أبواب الجنة وتتزين لعباد الله الصائمين.. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«إذا دخل رمضان فُتحت أبواب الجنة وغُلقت أبواب جهنم وَسُلْسِلَتْ الشياطين»(١).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا كان أولُ ليلةٍ من رمضانَ صفدت الشياطين ومردة الجن.. وغُلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب.. وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منه باب وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر.. ولله عتقاء من النار وذلك كُلَ ليلة»(٢).

أخي..

أبواب الجنة مفتوحة طوال هذا الشهر الكريم.. فهل شممت عبيرها؟

هل تنسمت أريجها؟.. أم زكمت أنوفنا بالمعاصي والآثام فلم تجد الجنة فيها موضعًا؟!

واعجباه..

كيف لا تشتاق إلى الجنة وللصائمين بابا يدخلون منه إلى الجنة لا يدخل منه

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الترمذيُ وابنُ ماجه والنسائي وحسنه الألباني.

أحد غيرهم.. فعن سهل بن سعد ﷺ أنّ النبيَّ ﷺ قال:

«إنَّ في الجنة بابًا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرُهم يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخُل منه أحدٌ غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد»(١).

للمشتاقين.. صور من نعيم الجنة:

• إن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران.. وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن.

• وإن سألت عن بلاطها فهو المسك الأذفر.. وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر.. وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب.

• وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون:

﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الطور ٢٢].

• وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان ١٧-١٨].

• وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم فهن الكواعب الأتراب اللآتي جرى في أعضائهن ماء الشباب فللورد والتفاح ما لبسته الخدود، وللرمان ما تضمنته النهود،واللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور، وللرقة واللطافة ما دارت عليه الخصور، تجري الشمس من محاسن وجهها إذا برزت ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت.. كلما نظر إليها ملأت قلبه سرورًا وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤًا منظورًا ومنثورًا وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نورًا.

• وإن سألت عن فرشها وسررها فهي فرش بطائنها من الإستبرق وزرابي

(١) متفق عليه.

مبثوثة في كل مكان بأجمل الأشكال والألوان تسر العين والخاطر وتبهج النفس..

﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف ٣١].

• وإن سألت عن أسواقها.. فدونك قول النبي ﷺ:

«إن في الجنة سوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال، فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسنًا وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنًا وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم حسنا وجمالاً»(١).

• وإن سألت عن الصحبة فيها.. فهل هناك أعظم وأشرف من صحبة النبي المختار ﷺ وصحابته الأطهار والتابعين لهم بإحسان من الأخيار والأبرار... تَصَوَّرْ نفسَكَ وأنتَ مَعَ النَّبيِّ ﷺ تجلسُ في مجلسِهِ، وتأكلُ على مائدتِهِ، وتتأمَّلُ قسماتِ وجهِهِ، وتُمتِّعُ نفسَكَ بابتساماتِهِ العاطرةِ ونظراتِهِ الآسرةِ، تقبِّلُ جبينَهُ، تضعُ كفَّكَ بكفِّهِ، تستمعُ إلى كلامِهِ.. تصور نفسك وأنت تتحدث مع أبي بكر الصديق، وتقبّل الفاروق عمر، وتناجي عثمان بن عفان، وتصافح علي بن أبي طالب، وتجلس إلى خالد بن الوليد يحدثك عن جهاده وبطولاته و..

وأروع المسرات وأعظم اللذات على الإطلاق لذة النظر إلى وجه ربك الكريم

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة ٢٢-٢٣]..

فأي مستوى من الرفعة هذا ؟

أي مستوى من السعادة ؟

(١) رواه مسلم.

وخلاصة القول:

الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر..

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة ١٧]

أخي في الله..

- ألا خاطبٌ في هذا الشهر إلى الرحمن؟
- ألا هل من مشتاق إلى الحور الحسان؟
- ألا راغب فيما أعده الله للطائعين في الجنان؟
- ألا من مشتاق لدخول الجنة من باب الريان؟
- ألا طالب لما أخبر به من النعيم المقيم مع أنه ليس الخبر كالعيان؟

إن العجب كل العجب ممن يصدق بدار البقاء وهو يسعي لدار الفناء.. ويعلم أن رضا الله في طاعته وهو يسعى في مخالفته.

عجبا لك يا مغرور..

ما هذا التواني والفتور؟.. باطنك خراب والظاهر معمور.. آه لو تفكرت في سكرات الموت وفتنة القبور؟

لو تدبرت كتاب ربك لعلمت أن الحياة الدنيا متاع الغرور.

كيف ترجو النجاة وأنت غارق في المنكر والزور؟

فيا من أُخرج أبويه من الجنة بذنب واحد بعد أن كان لها مالكًا.. كيف تطمع بدخولها بذنوب كالجبال لست لها تاركًا؟!

أيها الكسالي والنائمون..

متى تستيقظون؟

متى عن فراش الغفلة تهجرون؟

متى تبادرون؟

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران ١٣٣]

** استحضر وأنت تؤدي العبادات والطاعات في هذا الشهر الكريم نعيم الجنة وألوان المتعة واللذة فيها، مستعينًا في ذلك بقراءة الآيات التي تتحدث عن وصف الجنة ونعيمها بقلب متدبر ونفس مشتاقة.. فهذا مما يشحذ الهمم ويقوي النفوس كلما أصابها الملل أو زارها الفتور.

** احرص في دعائك وخاصة قبل الإفطار أن تقول:

«اللهم إنى اسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل.. وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل»..

ولا تنسى صاحب هذا الكتاب من دعوة صالحة بمرافقتك في الجنة.

بكي أحد الصالحين عندما قرأ قوله تعالى:

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران ١٣٣]..

فقيل له: لقد أبكتك آية ما مثلها يبكي.. إنها جنة عريضة واسعة..

فقال: يا ابن أخي وما ينفعني عرضها إن لم يكن لي فيها موضع قدم؟!

الآن فهمت التقوى

رصيد التقوى:

حين يصيب الإنسان بعض القصور، ويغلبه طغيان الشهوة وتجذبه نوازع الهوي تعمل التقوى عملها.. فسرعان ما يرجع التقي إلى ربه، ويأوي إلى رحمته ويهرب من شيطانه..

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾

[الأعراف ٢٠١]

وهكذا كلما كان رصيد المؤمن من التقوى عظيمًا، كلما كان أثر الشيطان فيه ضعيفًا.. فالتقوى هى الحصن الذي يحتمي فيه المؤمن من أن يطوف الشيطان به، وكلما كان هذا الحصن متين الأركان، متماسك البنيان كلما ضاقت منافذ الشيطان وسدّت دون كيده الأبواب.

فما هي التقوي؟

• قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله:

«وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه وغضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه».

وللإمام حسن البنا رحمه الله تعريف جامع فيقول:

«إن تقوى الله عاطفة من خوف الله وإعظامه وخشيته تتملك قلب العبد وتستولي على نفسه فتوقظ ضميره، وتحيي شعوره وتجعل من نفسه لنفسه وازعا، وتقيم عليه منه حارسا، فيكون عن ذلك ما علمت من بُعد عن معصية ومبادرة إلى طاعة.. وإنما يكون ذلك عن جهاد النفس وكفها عن الشرور، وتوجهها إلى

الخيرات، والإنسان في هذه الحال في حرب مع نوازع الشر في نفسه، وفي مصادمته لعوامل الإثم ودواعي الشهوات، والحرب - كما يقولون- سجال يوم لك ويوم عليك».

ولله در القائل:

خـلّ الذنـوبَ صغيـرها ... وكبيـرهـا فهـو التُّقـى
واصنـع كمـاشٍ فـوق ... أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تـحـقـرنّ صغيـرةً ... إن الجبـال من الحصـى

رمضان والتقوي:

قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة ١٨٣]

في هذه الآية الكريمة يحدد ربنا عز وجل الهدف من الصوم فيجعله التقوى إذ أنه سبحانه لم يقل: لعلكم تصحون أو لعلكم تقتصدون، وإنما قال: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ فجعل الصوم اختبارًا روحيًا، وتجربة خلقية، وأراد منه أن يكون وسيلتك إلى نيل صفة المتقين، وأداتك في اكتساب ملكة التقوى.. التقوى إذن هي الهدف الحقيقي للصيام الذي إن أصبته جاءت من ورائه كل الثمرات مكرهة راغمة، وإن أخطأته فقد أضعت عملك كله سدى.

وعن أثر الصوم في تحقيق التقوي يحدثك د. محمد عبد الله دراز رحمه الله فيقول:

«التقوى في الحقيقة هدف مشترك بين العبادات والطاعات جميعا غير أن للصوم في تحصيلها أثرا أوسع وأعم والمنزلة التي يبلغها الصائم بين مراتب المتقين هي أعلى المراتب وأسماها.. أما أن أثر الصوم في التقوى أوسع وأعم، فلأن التقوى التي تثمرها سائر الواجبات إنما هي كف عن المحارم، أما الصيام

فإنه يجئ من وراء هذه الدائرة المحظورة فيضيف إليها نطاقا جديدا يعلمنا به كيف نكف عن بعض الحلال والمباح، وكيف نستغني أحيانا عما هو في العادة من مقومات الحياة.. فإذا كانت الطاعات الأخرى تورث أوائل درجات التقوى بالاعتدال والاستقامة، فإن الصيام يورث نهاية درجاتها بالزهد والورع.

إن من تأمل كلمة «التقوى» التي عبر بها القرآن في حكمة الصيام يجدها منطوية على شطرين: ففي شطرها الأول كف وانتهاء وابتعاد واجتناب، وفي شطرها الثاني إقبال واقتراب وإنشاء وبناء... فليس الشأن في أن يغلق الصائم منافذ حسه، ويسكت صوت الهوى في نفسه فذلك إنما يمثل إغلاق منافذ النيران، ولكن الشأن الأعظم في أن يكون إغلاق منافذ الحس فتحًا لمسالك الروح وأن يكون إسكات صوت الهوى تمكينا لكلمة الحق والهدى في النفس.. فتلك هي مفاتيح أبواب الجنان».

أخي في الله..

* كيف يكون تقيًا لله من أهمل فرائض الله وضيعها، وتجرأ على محارمه وانتهكها؟

* كيف يكون تقيًا لله من تجرأ على الربا والغش والبخس وأكل الحرام، وأطلق لسانه في الغيبة والنميمة والكذب والآثام؟

* كيف يكون تقيًا من لا يرى في الصوم إلا جوعًا لا تتحمله معدته، وعطشًا لا تقوى عليه عروقه؟

* هل حقق معني التقوي من جاع نهاره، وملأ في الليل بطنه بأطايب الطعام فهو صريع لذة عارمة وعبد لشهوة جامحة؟

* هل حقق معني التقوي من نهاره نوم وكسل.. وليله لغو ولهو وسمر؟

فيا متنكبًا طريق التقوى..

لابد أن تصبح من النادمين حتى تقول:

﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزمر٥٧]..

هيهات هيهات..

ذهبت اللذات وبقيت التبعات، وتقطعت قلوب العاصين من الفوات وشدة الحسرات.. فلا اعتذارهم مسموع ولا نافع، وليس لهم عمل منقذ ولا حميم شافع.. قد حيل بينهم وبين ما يشتهون، ولم يغن عنهم ما كانوا به يمتعون.

** أوصيك بتقوى الله الذي هو نجيّك في سريرتك ورقيبك في علانيتك، فاجعل الله من بالك على كل حالك في ليلك ونهارك، وخف الله بقدر قربه منك وقدرته عليك.

** استخرج من القرآن الكريم الآيات التي تتحدث عن فضل التقوي وثمراتها وتدبرها مع إخوانك.

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:

«**ليس تقوى الله بصيام النهار وبقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك** -أي اقتراف الذنوب وخلط الأعمال الصالحة بما يفسدها- **ولكن تقوى الله: ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله عز وجل**».

وفي الإقبال على القرآن لذة

هذه رسالة القرآن.. فمن يتلقاها؟

لو قيل لك:

إن رسالة خاصة جاءتك من الملك، ووزيره بالباب ينتظر ليسلمك إياها فكيف يكون شعورك؟ ألا تهرع إلى الباب لاستلامها، ثم تسرع بفضها لمعرفة ما جاء فيها؟

القرآن رسالة من الله سبحانه وتعالى موجهة إلى الناس كافة، وإلى الذين آمنوا بصورة خاصة.. وفيها من الإرشاد والتوجيه والأوامر والنواهي ما تتوقف عليه سعادة المرء في الدنيا والآخرة.. فكيف تلقينا هذه الرسالة؟

لماذا تقرأ القرآن؟

معظم الناس إذا سألته لماذا تقرأ القرآن؟ يجيبك لأن تلاوته أفضل الأعمال ولأن الحرف بعشر حسنات والحسنة بعشر أمثالها، فيقصر نفسه على هدف ومقصد الثواب فحسب، أما المقاصد والأهداف الأخرى فيغفل عنها.

والمشتغل بحفظ القرآن تجده يقرأ القرآن ليثبت الحفظ.. الهدف تثبيت الحروف وصور الكلمات، فتجده تمر به المعاني العظيمة المؤثرة فلا ينتبه لها ولا يحس ولا يشعر بها لأنه قصر همته وركز ذهنه على الحروف وانصرف عن المعاني.. لذا فإنك قد تجد حافظا للقرآن غير عامل ولا متخلق به.

إن مجرد تلاوة القرآن باللسان دون استشعار معانيه ومواعظه، هو الذي حَرَمَ الأمة فضيلة حمل القرآن والانتفاع به ودعوة الناس إليه.. لقد انتهت علاقتنا بالقرآن إلى مجرد التلاوة فقط، نَعُد حسنات، ونحصي خيرات.. مواعظ تتلى، وعبرٌ تسمع، وسورةٌ تقرأ، ولكنها تدخل من الأذن اليمنى وتخرج من اليسرى!

وهذا ما أكده الإمام ابن القيم:

«نزل القرآن ليُعمل به فاتخَذوا تلاوته عملاً، ولهذا كان أهل القرآن هم العاملون به، والعاملون بما فيه، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب، وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل بما فيه، فليس من أهله وإن أقام حروفه إقامة السهم».

أخي..

- من منا يبكي عند قراءة سورة الحاقة؟!
- من منا يرتجف حين يسمع سورة الزلزلة؟!
- من تاب يوم أن قرأ سورة القيامة؟!
- من منا هتف يومًا «معاذ الله» في وجه المرأة السافرة، والشاشة الهابطة والمجلة الخليعة، والأغنية الماجنة كلها تنادي هيت لك بعد قراءته سورة يوسف؟!
- من منا تعلم الاستسلام لله بعد قراءته لسورة البقرة.. فأصبح شعاره إزاء كل تكليف أو أمر أو نهي يأتيه من ربه ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾؟!

يا سادة.. كيف حالكم أمام قول ربكم:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر ٢١].

يقول د. ناصر العمر:

«تأمل! جبل عظيم، شاهق، لو نزل عليه القران لخشع بل تشقق وتصدع، وقلبك هذا الذي في حجمه كقطعة صغيرة من هذا الجبل، كم سمع القرآن وقرأه ومع ذلك لم يخشع ولم يتأثر والسر في ذلك كلمة واحدة: إنه لم يتدبر».

حقيقة التدبر:

قال الله عزوجل:

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص ٢٩].

والتدبر هو: الفهم لما يُتلى من القرآن، مع حضور القلب، وخشوع الجوارح والعمل بمقتضاه.. وصفة ذلك: أن يشتغل القلب في التفكير في معنى ما يلفظ بلسانه، فيعرف من كل آية معناها، ولا يجاوزها إلى غيرها حتى يعرف معناها ومرادها.

وما أجمل ما قاله د. فريد الأنصاري رحمه الله:

«فتدبر آيات القرآن إذن: هو النظر إلى مآلاتها وعواقبها في النفس وفي المجتمع.. وذلك بأن تقرأ الآية من كتاب الله، فتنظر -إن كانت متعلقة بالنفس- إلى موقعها من نفسك، وآثارها على قلبك وعملك، تنظر ما مرتبتك منها؟ وما موقعك من تطبيقها أو مخالفتها؟ وما آثار ذلك كله على نفسك وما تعانيه من قلق واضطراب في الحياة الخاصة والعامة؟ تحاول بذلك كله أن تقرأ سيرتك في ضوئها، باعتبارها مقياسا لوزن نفسك وتقويمها وتعالج أدواءك بدوائها، وتستشفي بوصفاتها»

رمضان شهر القرآن:

قال الله عزوجل:

﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ﴾ [البقرة ١٨٥].

وعن العلاقة بين الصوم والقرآن يحدثك الإمام حسن البنا رحمه الله فيقول:

«أليس الصوم طهارةً للنفوس ونقاءً للأرواح يسمو بها إلى الملأ الأعلى ويرتفع بها إلى أفق الملكية حيث يتصل بعالم غير هذا العالم؟..

وأليس القرآن نبعًا فياضًا ينضح بهذه الروحانية، ويذكِّر النفوس بالملأ الأعلى

أيضًا، ويجلو أمامها أسرار ملكوت السماوات والأرض؟

بل هو وديعة الملأ الأعلى وهديته لهذا العالم الأدنى، فهو حبل الله المتين طرفه بيد الله وطرفه بيد الناس، فالنفس إذا صفت وترقت بالصوم رأت القرآن معنى ساميًا من معاني الملأ الذي ارتقت إليه فأدركت مراتبه واستجلت معانيه، واستوضحت أسرارَه، وأخذت منها بطرف ما كانت لتصل إليه لولا أنها هُذِّبت بالصوم، وترقَّت به إلى عالم الحقيقة والنور.. فعلى ضوء النور الذي تشرق به جوانب النفس بالصوم يكشف الصائم عن الحقائق السامية التي يزخر بها بحر القرآن الفيَّاض.. ولهذا كان رمضان شهر القرآن».

معينات على تدبر القرآن:

١ - معرفة الله وتعظيمه:

فمن امتلأ قلبه معرفة بالله وتعظيمًا له.. عظم كلامه وتمعن فيه وأصغي إليه متأملاً متدبرًا.. ومن أعظم وسائل معرفة الله: التفكر والتأمل في أسماء الله الحسني وصفاته العلي.

٢ - الإخلاص:

ينبغي على من أقبل على قراءة القرآن أن يخلص قصده لله في طلب تدبره وتفهمه، ولن ينتفع قارئ القرآن بما يقرأ حتى يخلص النية فيه لله.

٣ - تطهير أدوات التلاوة «القلب والجوارح»:

«فكيف يحسُنُ تلاوة القرآن وتدبره وفهمه بعين لوثتها النظرات المحرمة؟!

أو بأذنٍ دنستها الأصوات المنكرة ومزامير الشيطان؟! أو بلسان نجسته الغيبة والنميمة، والكذب والافتراء والسخرية والاستهزاء؟!.. إن القرآن كالمطر، فكما أن المطر لا يؤثر في الجماد والصخر ولا يتفاعل معه إلا التربة المهيأة، فكذلك القرآن لا ينفع إلا إذا نزل على بيئة صالحة فتتفاعل معه ويؤثر بها، وهذه البيئة في

الحواس والقلوب السليمة الطاهرة التي تقبل عليه»[1].

٤- النظر في كتب المفسرين:

ولأن التدبر لا يمكن إلا بالفهم لما يتلى، فطريقة فهم القرآن تكون بالاطلاع على ما كتبه المفسرون من الصحابة والتابعين والعلماء من بعدهم وأنصحك بتفسير «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» للشيخ السعدي رحمه الله.

٥- قراءة القرآن على مهل وترتيل:

فالمطلوب التدبر والتفهم مهما كان المقدار الذي يقرأ قليلاً..

فلا يكون الهم متى أختم السورة؟!

بل همك متى أكون من المتقين؟!

متى أكون من المحسنين؟!

متى أكون من المتوكلين؟!

متى أكون من الخاشعين؟!

متى أكون من الصابرين؟!

متى أكون من الخائفين؟!

قال الحسن البصري رحمه الله:

«يا ابن آدم: كيف يرق قلبك وإنما همك في آخر سورتك؟!»

عجبا لك يا من تقرأ القرآن..

• تقرأ آيات تحثك على الصبر والثبات.. ثم تجزع وتسخط وتنهار عند الشدائد والأزمات.

(١) مفاتيح التعامل مع القرآن ص٥٢ د. صلاح الخالدي.

• تقرأ آيات تأمرك بالعدل والإحسان.. ثم يغلبك الهوي فتسارع إلى الظلم والبغي والطغيان.

• تقرأ آيات الوعيد والترهيب والعذاب.. ثم لا يلين قلبك مصرا على غفلته كأن بينه وبين مواعظ القرآن حجاب.

• تقرأ آيات ترغبك وتشوقك في نعيم الجنان.. وأنت أسير العصيان لا ترجو رحمة ولا غفران.

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد ٢٤].

ويحك يا صاح...

الجبل لو أُنزل عليه القرآن لرأيته خاشعا يتصدع.. وأنت إذا تلي عليك القرآن فلا قلب يخشع ولا عين تدمع ولا نفس لها في التوبة مطمع.. فقد تراكمت عليها ظلمة الذنوب فهي لا تبصر ولا تسمع،إذا لم يشفع لك القرآن فمن يشفع؟

وصية عملية

** سارعوا بالعودة إلى كتاب ربكم..عظموا قدره.. تدبروا آياته.. انتفعوا بمواعظه اعتصموا به.. أقبلوا عليه بكيانكم.. لا تبخلوا عليه بأوقاتكم.. تخلقوا بآدابه.. احفظوا حدوده.. انشغلوا به.. اصحبوه في حلكم وترحالكم.

إضاءة

«إن من يقصر علاقته بالقرآن تلاوة وتدبرًا على شهر رمضان فهو كمن يعلن عن استغنائه عن هدى الله ونوره ورحمته وشفائه وحياة قلبه أحد عشر شهرًا» [د. عمر المقبل]

اسكُب عطر الإخلاص

رويدًا أيها المراؤن:

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول:

«إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه: رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمته فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت قال: كذبت ولكنك قاتلت ليقال جريء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل، ثم أمر فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار»[1].

ألا ما أعظم خطر الرياء وما أشد حسرة المرائين يوم القيامة يوم يفضحهم الله على رءوس الخلائق.. أعمال عظيمة وأفعال جسيمة ولكنها ذهبت أدراج الرياح

﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان ٢٣]

ما أتعس المرائين.. وما أبعد سعيهم.. وما أضل أعمالهم!! تعبوا في غير تحصيل.. وشقوا في غير تأميل..

ماذا أفادهم التصنع للناس والعمل لأجل شهوة أومنصب أو مال أو شهرة؟!..

(١) رواه مسلم.

ماذا كسبوا من طلب رضا الناس والثناء عليهم والتزلف إليهم؟

ماذا عليهم لو أخلصوا لله؟

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة ٥]

حقيقة الإخلاص:

الإخلاص: إرادة وجه الله تعالى بالعمل، وتصفيته من كل شوب ذاتي أو دنيوي، فلا ينبعث للعمل إلا لله تعالى والدار الآخرة، ولا يمازج عمله ما يشوبه من الرغبات العاجلة للنفس الظاهرة أو الخفية، من إرادة مغنم، أو شهوة، أو منصب، أو مال، أو شهرة، أو منزلة في قلوب الخلق، أو طلب مدحهم، أو الهرب من ذمهم، أو إرضاء لعامة، أو مجاملة لخاصة، أو شفاء لحقد كامن، أو استجابة لحسد خفي، أو لكبر مستكن، أو لغير ذلك من العلل والأهواء والشوائب، التي عقد متفرقاتها هو: إرادة ما سوى الله تعالى بالعمل، كائنا من كان، وكائنا ما كان.. وأساس إخلاص العمل: تجريد «النية» فيه لله تعالى.

ألا ما أروع الإخلاص.. إنه سفينة النجاة وصمام الأمان للمؤمنين في حياتهم، به تزكو أعمالهم، وتضاعف جهودهم وأجورهم وتزداد فاعليتهم.

رمضان والإخلاص:

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

«كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي»[1].

سبحان الله..

أوليست العبادات كلها لله؟ فلماذا اختص الله هذا العمل بالإضافة إليه؟

(١) متفق عليه.

أوليس الله هو الذي يُجازي على الأعمال الصالحة؟ فلماذا أضاف الله جزاء الصوم له؟

إن الصوم سر بين العبد وبين الله تعالى يفعله خالصًا ويعامله به طالبًا لرضاه، لا يعلم أحدٌ من الناس بإمساكِكَ عن الطعام والشراب لأجلِ الله إلا أن تُخبرهم بذلك.. ومن يحولُ بينك وبين الأكل والشرب حين تُغلق الأبواب وتُرخى الستور، وتخلُو بنفسك، حيث لا يراك أحد من الإنس؟..

إنما الخوف من الله، والطمعُ في ثوابه، والرَّجَا بحسن لقائه هو الذي يحول بينك وبين الأكل والشرب.. فالصوم ينمي في النفوس رعاية الأمانة والإخلاص في العمل، وأن لا يراعي فيه غير وجه الله، وهذه فضيلة عظمى تقضي على رذائل المداهنة والرياء والنفاق.

جدد نيتك:

النية أساس الفلاح وعنوان النجاح، إن صفت صفا العمل، وإن حسنت قُبل وإن طابت طاب وإن ساءت النية ساء العمل واعتــراه الخلل وباء بالفشل.. ويمكنك أن تكثــر من نواياك في صيام هذا الشهر الكريم لتفوز بالثواب المضاعف:

١- نية تحقيق التقوى

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة ١٨٣].

٢- نية غفران الذنوب.. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال:

«من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»[١].

(١) متفق عليه.

٣- نية العتق من النار

٤- نية الدخول من باب الريان

٥- نية الفوز بحسن الخاتمة.. لقوله ﷺ:

«من خُتِمَ له بصيام يوم دخل الجنة»[١].

٦- نية التدريب على كبح جماح النفس والتحرر من قيود الشهوات والملذات.

٧- نية تحقيق الافتقار والانكسار لله.. حيث يُمنع الأكل، ويُحظر الشراب، ويُجوّع البطن ويُحيي الليل، وتسكب العبرات، وتُرفع الدعوات معلنة فقرها إلى جود المنان وعطاء الرحمن.

٨- نية شكر الله.. يقول العز بن عبد السلام رحمه الله:

«إذا صام العبد عرف نعمة الله عليه في الشبع والريّ، فشكرها لذلك، فإن النعم لا تعرف مقدارها إلا بفقدها».

حديث مرعب:

عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال:

«إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر: الرياء، يقول الله يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟!»[٢].

وهكذا..

إن فساد النية وخبث الطوية يهبط بالطاعات المحضة، فيقلبها معاصي شائنة ويجعلها ذنوبا كبيرة، فلا ينال المرء منها بعد التعب في أدائها إلا الفشل والخسران

(١) صحيح الجامع ٦٢٢٤.

(٢) رواه أحمد وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٩٥١.

وبدلاً من أن يكسب بها الأجر والثواب يستجلب بها الويل والعقاب.

** جدد نيتك في هذا الشهر الكريم واحرص على وضع نية صالحة قبل كل عمل تُقدم عليه.

** أوصيك بهذا الدعاء الذي علمنا إياه رسول الله ﷺ لنعتصم به من لوثات الرياء:

«اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئا أعلمه وأستغفرك لما لا أعلمه»[1].

** افعل اليوم عملاً لا يعلمه أحد إلا الله ولا تحدث به نفسك بعد ذلك ولا أحدا من الناس، بل اجعله بينك وبين ربك.

«لا تحتقر عملاً قدمته بنية خالصة.. فالقليل مع الإخلاص كثير، والكثير مع الرياء قليل.. والمحاسب الخبير لا تعجبه كثرة الدنانير، وإنما تعجبه جودتها» [د. مصطفي السباعي].

(١) رواه أحمد.

وبشر الصابرين

قيمة الصبر:

• إذا ادْلَهَمّت الأمور واسودت الحياة وأظلمت الدنيا فالصبر ضياء.

• إذا انسدت المطالب وعظمت المصائب وكثرت الرزايا وزادت البلايا فالصبر دواء.

• إذا نزل المكروه، وعظم الجزع، واشتد الخوف، وهيمن القلق فالصبر التجاء.

• إذا أصبح الدين في غربة والإسلام في كُربة وعمت المعاصي وعظمت الشبهات وهيمنت الشهوات فالصبر عزاء.

ألا ما أعظم الصبر.. بضاعة غالية، وسلعة نفيسة، مرضاة للرب، مؤنس للقلب، مُذْهِب للهَمّ، طارد للغَمّ، مُعْظِم للأجر، مُؤْذِن بالعِوَض.

حقيقة الصبر:

الصبر حبس النفس وإلزامها ما يشق عليها ابتغاء وجه الله.. وتمرينها على الطاعة وترك المحارم.. وعلي الأقدار المؤلمة رضي بقدر الله.

يقول الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله:

«الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة، فإن ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين، وإن تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق بأتباع الشياطين، فإن ترك الأفعال المشتهاه عمل يثمره حال يسمى الصبر وهو ثبات الدين الذي هو في مقابلة باعث الشهوة، وثبات باعث الدين حال تثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضاداتها لأسباب السعادات في الدنيا والآخرة».

رمضان والصبر:

الصوم فى صميمه تجربة حية مباشرة لغرس بذرة الصبر وإرواء نبتته، ولهذا سمّى رمضان شهر الصبر... فالصوم خير معين للعبد في هذه الحياة ليتجاوز كل الحواجز النفسية والحسية التي تعوقه عن الله والدار الآخرة والتي تعوقه عن معالي الأمور ليصبح عبدًا لله لا عبدًا لشهوته وهواه.. إن الإخلاد إلى الأرض والانغماس في الملذات من أعظم المعوقات عن الوصول إلى أعلى الدرجات وأعلى المقامات في العبادة والبذل والإنفاق والجهاد في سبيل الله وأداء ما أوجب الله وتطهير القلوب وتهذيب السلوك، كل هذا طريقه والسر إلى الوصول إليه لن يكون إلا من بوابة الصبر ولا شيء غير الصبر، ومن أعطي الصبر فقد أعطي الخير كله، فهو سر عجيب وأساس رفعة الإنسان وتميزه عن سائر الحيوان فلاعجب أن يكون أجره كما قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر١٠]..

فالذي يمتثل أوامر الله في أداء الواجبات والتكاليف في هذا الشهر سوف يطعم معنى الصبر ويسمو بنفسه عن اتباع الهوى ويكون أقدر على مواجهة الفتن والمغريات بعد رمضان. وهكذا يتخرج الصائم من مدرسة رمضان وهو قادر على ضبط النفس عن السأم والملل عن تكليفه بالقيام بأعمال تتطلب الدأب والمثابرة.. وضبط النفس عن الغضب والطيش عندما تثيره بعض الأمور التي تدفعه للطيش بلا حكمة ولا اتزان في قوله أو عمله.. وضبط النفس عن الاندفاع وراء أهواء النفس وغرائزها، والوقوف في وجه المغريات التي يتهاوي أمامها الكثير من الناس.

حاجتنا إلى الصبر:

الصبر ضرورة دنيوية كما هو ضرورة دينية، فلا نجاح في الدنيا ولا فلاح في الآخرة إلا بصبر، في الدنيا لا تتحقق الآمال ولا تنال المقاصد ولا يؤتي عمل

أكله إلا بصبر.. ولولا صبر الزارع على بذره ما حصد، ولولا صبر الغارس على غرسه ما جنى، ولولا صبر الطالب على درسه ما تخرج، ولولا صبر المقاتل في ساحة الوغى ما انتصر، وهكذا كل الناجحين في الدنيا، إنما حققوا آمالهم بالصبر، واستمرءوا المر، واستعذبوا العذاب واستهانوا بالصعاب، ولم يبالوا بالمعوقات، متذرعين بالعزيمة، مسلحين بالصبر.

والصبر يتعلق بجميع أمور العبد وكمالاته، وكل حالة من أحواله تحتاج إلى صبر،فإنه يحتاج إلى الصبر على طاعة الله، حتى يقوم بها ويؤديها، وصبر عن معصية الله حتى يتركها لله، وصبر على أقدار الله المؤلمة، فلا يتسخطها، بل صبر على نعم الله ومحبوبات النفس، فلا يدع النفس تمرح وتفرح الفرحَ المذموم، بل يشتغل بشكر الله، فهو في كل أحواله يحتاج إلى الصبر، وبالصبر ينال الفلاح.

والصبر مثل اسمه مرٌّ مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسل

فيا من على فُرش السخط والجـزع عاكفون.. أما يخفف لوعتكم قـول ربكم: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل ٩٦].

يا من بليت بمصيبة أو رَزِيّة من مرض مزعج أو ألم مُضْن أو فقد قريب أو موت حبيب تذكر:

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾

[البقرة ١٥٥-١٥٧].

وصية عملية

** احرص على التأمل في سير الصابرين -وأعظمهم نبيك عليه الصلاة والسلام- وما لاقوه من صنوف البلاء وألوان الشدائد ففي ذكرهم سلوة وفي قصصهم عبرة وعظة.

** ضع نصب عينيك دائمًا قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر ١٠]..

فاليقين بحسن الجزاء وعظم الأجر من أعظم المحفزات على الصبر.

قال الحسن البصري:

«**الصبر كنـــز من كنـــوز الخيـــر لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده**».

سمعنا وأطعنا

مفاهيم يجب أن تصحح:

«بعض الناس لا يفهم من كلمة العبادة إذا ذكرت إلا الصلاة والصيام والصدقة والحج والعمرة، ونحو ذلك من الأدعية والأذكار، ولا يحسب أن لها علاقة بالأخلاق والآداب أوالنظم والقوانين، أوالعادات والتقاليد.. إن عبادة الله ليست محصورة في الصلاة والصيام والحج وما يلحق بها من التلاوة والذكر والدعاء والاستغفار، كما يتبادر إلى فهم كثير من المسلمين إذا دعوا إلى عبادة الله، وكما يحسب كثير من المتدينين أنهم إذا قاموا بهذه الشعائر فقد وفوا الألوهية حقها، وقاموا بواجب العبودية لله كاملاً..

إن هذه الشعائر العظيمة والأركان الأساسية في بناء الإسلام على منزلتها وأهميتها إنما هي جزء من العبادة لله..

وليست هي كل العبادة التي يريدها الله من عباده، والحق أن دائرة العبادة التي خلق الله لها الإنسان، وجعلها غايته في الحياة، ومهمته في الأرض، دائرة رحبة واسعة، إنها تشمل شئون الإنسان كلها، وتستوعب حياته جميعًا»[1].

العبادة.. خضوع واستسلام:

إن العبادة هي:

كمال الطاعة والانقياد لأوامر الله والانتهاء عن زواجره، والوقوف عند حدوده، وقبول جميع ماورد عنه على لسان نبيه ﷺ دون رد شيء من ذلك أو إلحاد فيه.. طاعة بلا تردد، واستجابة بلا تلكؤ.

(١) العبادة في الإسلام ص٥٢-٥٣ د. يوسف القرضاوي.

وهذا ما يؤكده الشيخ محمد الغزالي رحمه الله:

«إن الإيمان المجرد ينبت شعورًا بالخضوع لله..

خضوعًا تمتزج فيه الرغبة والرهبة وليس فى هذا عجب فإن الذى يعرف عظيما من البشر يحس نحوه بالإعزاز والانقياد..

فكيف بمن عرف الله وفقه صفاته العظمى وأسماءه الحسنى؟

إن الخضوع المطلق يفعم فؤاده، ويجعل مبدأ السمع والطاعة أساس صلته به..

وأيًا ما كان الأمر فإن الدين ليس معرفة التمرد وشق عصا الطاعة، هو التسليم التام لله والإنفاذ الكامل لما حكم به».

رمضان.. والاستجابة لله:

الصوم فيه تربية على العبودية والاستسلام لله جل وعلا، فعندما تغرب الشمس يأكل الصائم ويشرب امتثالاً لأمر الله، وإذا طلع الفجر يمسك عن الأكل والشرب وسائر المفطرات، فهو يتعبد الله عز وجل في صيامه وفطره، فإذا أمره ربه عز وجل بالأكل في وقت معين أكل، وإذا أمره بضد ذلك في وقت آخر امتثل، فالقضية إذًا ليست قضية أذواق وأمزجة وإنما هي قضية طاعة واستسلام وانقياد لأمر الله، وهكذا يأتي رمضان فتهب نفحات الطاعة وترفع أعلام الاستجابة، لأن لرمضان مزية واختصاصًا بالنسبة للطاعة والاستجابة ويتجسد ذلك في الآتي:

١ - ترك المبـاح:

الصائم يترك الطعام والشراب والمعاشرة الزوجية وهي في الأصل أمور مباحة، وذلك استجابة منه لأمر الله، وهذه تربية على الطاعة في ترك المباح وينتج عنها مزيد من الطاعة والاستجابة في ترك المحرم والمكروه، والنفس إذا انقادت للامتناع عن الحلال من الغذاء الذي لا غنى لها عنه طلبًا لمرضاة الله تعالى وخوفًا

من أليم عقابه، فالأحرى بها أن تتمرن على الامتناع عن الحرام الذي هي غنية عنه وتبعد عنه كل البعد.. وبالتالي فإن الإمساك المطلوب في رمضان يثمر استجابة بالامتناع عن كل منهي عنه والإجابة في كل مأمور به من باب أولى.

٢- الحرص على صحة الصوم:

أكثر الناس نجد عنده حرصًا شديدًا، ومراعاة دقيقة لأوقات الإمساك والإفطار فهو يحتاط في ليله ويتحرى الفجر ويمسك قبل الأذان، وإذا جاء وقت الغروب كذلك تجده محتاطًا متحريًا، كل ذلك ليأتي بالأمر على وجهه، ويؤدي العبادة بكمالها ومن ثم يكتسب الدقة في الاستجابة، والحساسية المرهفة فيما يتعلق بأوامر الله، فلا تساهل ولا ترخص، ولا غفلة ولا تفريط.. فالصائم إنما يمتنع عن طعامه وشرابه وعاداته، امتثالا لأمر الله تعالى وطاعة رسوله وهو لا يبالي في سبيل هذه الطاعة أن يقع ذلك من نفسه موقع الارتياح أوالشدة فحسبه أنه آمن بالله ربا وبرسوله نبيا وقائدا، وعاهد الله في إسلامه على السمع والطاعة في المنشط والمكره، في اليسر والعسر وبذلك كان الجندي المسلم الحق مثلا أعلى للطاعة التي تنبعث من النفس رغبة وإيمانا...

وهكذا يتخرج المسلم من مدرسة رمضان متشبعًا بالاستسلام والانقياد لله في كل شئون حياته في الصغير والكبير من أموره.. ويتقبل حكمه فيه بقلب مطمئن ونفس راضية ولو كان ذلك مخالفا لهواه، مفوّتا لمصلحة خاصة له..

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور٥١].

- فإذا سمع قوله جل وعلا:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

[البقرة ٢٧٨]..

قال: سمعنا وأطعنا.

• وإذا قرأ قوله تعالي:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ ﴾ [النساء ٢٩]..

قال: سمعنا وأطعنا.

• وإذا حذره الله عزوجل بقوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحجرات ١٢]..

قال: سمعنا وأطعنا.

• وإذا نهاه بقوله:

﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء ٣٢]..

قال: سمعنا وأطعنا.

وهكذا..

إن لقب الإيمـــان الذي ينـــادي الله تعالي به عبـــاده يقتضي حصر التلقي من الله فقط وتنفيذ أحكامه، فالذين آمنوا بالله وأشربوا حبه في قلوبهم واطمأنوا لما نـزل من الحق هم الذين يقدسون تشريعات ربهم ويمتثلونها، رغبة في ثوابه، وخوفًا من عقابه وبطشه. ولذلك اختصهم بهذا النداء لما فيه من قابلية الطاعة والتنفيذ.

أخي.. عجبا لك..

كلما دعاك الله عزوجل إلى طاعته والاستجابة لأوامره تمردت وتحايلت وكلما دعتك نزواتك ورغباتك إلى ما تهوي استجبت وأقبلت.

قل لي بربك..

عبد من أنت؟!

عبد لله أم عبد للهوى..

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية ٢٣]..

عبد للشهوات أم عبد لرب الأرض والسماوات؟!..

عبد للدرهم والدينار أم عبد للملك الجبار؟!..

فيا قتيل شهوته.. يا أسير لذته.. يا عبدَ هواه..

«ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ» [يوسف ٣٩].

أختي المسلمة..

يا من سمعت أمر الله عزوجل لك بالحجاب..

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور ٣١]..

فاستجبتي في رمضان والتزمتي بالأمر.. ثم بعد رمضان ألقيتي لباس الحشمة وخلعتي رداء العفة وأظهرتي مفاتنك وزينتك.. ما هذا النقض والغدر؟

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾

[الأنفال ٢٤].

وصية عملية

** استخرج من القرآن الكريم الآيات التي تشتمل على الأوامر والنواهي وقم بتدبرها وفهمها وتطبيقها مع إخوانك لتتعلم منها الاستسلام لله.

** احذر من الفخاخ والكمائن المنصوبة في طريق استجابتك لله من نفس أمارة بالسوء، وهوي متبع، وشيطان لحوح، وشهوات مغرية.

لن يتـــم إسلام المرء إلا إذا قال من قلبه بإزاء كل ما أوصى الله به..

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة ٢٨٥].

إستراحة إيمانية «١»

أفق أيها الغافل:

• يا نائمًا على فراش التقصير.. يا مغرورًا بطول أمله وعمره قصير.. كلما سمعت آيات الوعيد والترهيب لم تبال بالنذير.. واعجبًا لمن يقرع سمعه ذكر السعير وهو من عذابها بالله غير مستجير.. أمامك في رمضان فرصة عظيمة لتهذيب النفس والتغيير.. فانهض الآن وابدأ المسير.

شعارك في رمضان «وإلى ربك فارغب»:

• **«وحد المقصود إليه، حقق التوكل عليه، أفرده بالسؤال، أعظم الرغبة إليه في النوال، إذا سألت فلا تسأل غيره، اذا رجوت فلا ترجو سواه، انطرح على عتبات ربوبيته، ألق نفسك على أبواب ألوهيته، مُدْ يديك إليه، أُشكْ حالك إليه، عفر له جبينك، أخلص له دينك»** [د. عائض القرني].

مشقة الطاعة ولذة المعصية:

• **«ليس منا أحد لم يقارف في عمره معصية، ولم يجد لهذه المعصية لذة، أقلها انه آثر متعة الفراش مرة على القيام لصلاة الفجر، فماذا بقي في أيدينا الآن من هذه اللذة التي أحسسنا بها قبل عشر سنين؟..وليس منا أحد لم يكره نفسه على أداء طاعة، ولم يحمل لهذه الطاعة ألمًا، أقله الجوع والعطش في رمضان، فماذا بقي في نفوسنا الآن، من ألم الجوع في رمضان، الذي جاء من عشر سنين؟**

لا شيء.. ذهبت لذات المعاصي وبقي عقابها، وذهبت آلام الطاعات وبقي ثوابها». [الشيخ على الطنطاوي رحمه الله].

هل تتصوَّرون الحياةَ من غير تسامح؟

• ما أحوجَنا إليْك أيُّها القلب المتسامح، ما أحوجَنا إلى قلب يغفرُ الخطيئات، ويتناسى العثرات، ويصفح عن الزلاَّت، قلب يَمسح الدموع عن وجنات النَّخيل الباكية، وينفضُ الغبار عن المغازل الخشبيَّة القديمة، ويزيل الصَّدأ عن السُّيوف المعلَّقة التي تكتظُّ بمعاني العزَّة ودلالات الفخار.. أنت -أيُّها القلب- تحمل معانيَ السعادة، وتملك بلْسم الشفاء، وتخبئ في جناحيْك أسرار الفرح» [الأستاذ بدر الحسين].

همسة في أذن أختي المسلمة:

• **«أختاه!.. يا من لم تتحجبى.. ياكاشفة اللحم للافتراس.. يا تاركة الكنز بلا حراس.. يا عاشقة الظهور وواضعة العطور.. كفاك قصما للظهور.. أترضين أن يكون هذا حالك؟! يستخدمك الشيطان ويستأجرك، ويضيع ثوابك وثواب من يرمقك ويجاورك، ألا تقومى من الآن إن أردت أن تردى على الشيطان كيده وأعلنى الهجوم المضاد عليه وردى له الصاع صاعين، واسترى من اليوم لؤلؤة جمالك فى صدفة حجابك، وأطيعى أمر ربك الذى عاندتيه طوال حياتك»** [د. خالد أبوشادي].

وقفة مع النفس:

يا نفس فاز الصالحون بالتقى ... وأبصروا الحق وقلبي قد عمي
يا حسنهم والليل قد جنهم ... ونورهم يفوق نور الأنجم
ترنموا بالذكر في ليلهم ... فعيشهم قد طاب بالترنم
قلوبهم للذكر قد تفرغت ... دموعهم كلؤلؤ منتظم
أسحارهم بهم لهم قد أشرقت ... وخلع الغفران خير القسم
ويحك يا نفس ألا تيقظ ... ينفع قبل أن تزل قدمي
مضى الزمان في ثوان وهوى ... فاستدركي ما قد بقي واغتنمي

وحانت لحظة الانتصار

فاتخذوه عدوا:

• كم أوقعك في شباك الهوي والغفلات.. وكم دعاك إلى الولوغ في الشهوات والملذات.

• كم طوقك في فخ المعاصي والمحرمات.. وكم ثبط همتك عن فعل الطاعات والخيرات.

• كم زرع في النفوس من شحناء وبغضاء وعداوات.

• كم زهدك في كل خلق جميل وكم دعاك إلى كل خلق رذيل.

إنه الشيطان.. العدو اللدود والخصم المبين.. رفض السجود لأبيك آدم وتمرد واستكبر وقال:

﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [ص٧٦]..

وأقسم على غوايتك وإضلالك..

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف١٦-١٧]..

وحدد ساحة المعركة

﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحجر٣٩]

وحدد عدته فيها.. إنه التزيين.. تزيين القبيح وتجميله والإغراء بزينته المصطنعة على ارتكابه..

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗا﴾ [فاطر٨]..

وحدد أسلحته من الأمانيّ الكاذبة، والوعود المعسولة الخادعة..

﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء ٦٤]..

فهو لن يهدأ له بال حتى يهدم كل ماصنعت من معروف.. ويبيد كل ما قدمت من خير.. وينسف كل ما سطر لك من حسنات.. إنها معركة شرسة وحربا ضروس لن تهدأ أوارها ولن تخمد نيرانها حتى تقوم الساعة.

فيا أيها الغافلون عن هذا العدو اللدود..

أما قرع آذانكم قول ربكم:

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾

[فاطر ٦].

عجبًا لمن خُيّر بين الهدى والضلال، وبين اللهّ والشيطان.. فانحاز إلى جانب الشيطان وركب معه مركب الغواية والضلال..

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾

[الكهف ٥٠]

وهكذا..

«حين يستحضر الإنسان صورة المعركة الخالدة بينه وبين عدوه الشيطان، فإنه يتحفز بكل قواه وبكل يقظته وبغريزة الدفاع عن النفس وحماية الذات، يتحفز لدفع الغواية والإغراء ويستيقظ لمداخل الشيطان إلى نفسه، ويتوجس من كل هاجسة، ويسرع ليعرضها على ميزان الله الذي أقامه له ليتبين، فلعلها خدعة مستترة من عدوه القديم وهذه هي الحالة الوجدانية التي يريد القرآن أن ينشئها في الضمير.. حالة التوفز والتحفز لدفع وسوسة الشيطان بالغواية كما يتحفز الإنسان لكل بادرة من عدوه وكل حركة خفية»[1].

فهل أنتم مستعدون؟.. هل أنتم جاهزون؟.. هل أنتم عازمون؟

(١) في ظلال القرآن ج٥ ص ٢٩٢٦ – سيد قطب.

50 رمضان وتصفيد الشيطان:

عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ:

«إذا دخل شهر رمضان، فُتِّحت أبواب الجنة، وغُلِّقَتْ أبواب النيران، وصُفِّدَتِ الشياطين»[1].

وتصفيد الشياطين: أي أنها تغل بالأغلال وتسجن منعا لها عن إغواء المؤمنين الصائمين والتسويل لهم.. «وهي التي كانت تسرح عليك طوال العام تؤذيك وتغويك، فأعانك الله عليها اليوم فقهر مردتها وسلسل سادتها ليخمد في الصدر وسواسها ويخنس في القلب إغواؤها، فمن كان اليوم أسير شهوة ملكته منذ سنين، أو صريع فتاة أركعته كعبد ذليل أو أدمن أكل الرشوة والربا وأموال اليتامى والمساكين، وأيما امرأة كشفت زينتها وأبدت مفاتنها للناظرين..إلى كل هؤلاء نقول أبشروا فعين الله تصنعكم والأبالسة في أصفادها ترمقكم، ونفوسكم إلى الخير وثابة، وعن الشر هيابة، ولم يبق إلا أن تعالجوا خطرات نفوسكم وساوس قلوبكم، فمن أصر منكم على ذنبه بعد اليوم، فإنما هو انحراف داخلي لا ينتظر شيطانا يغويه حتى يكون هو المبادر إلى الشر ليقع فيه»[2].

احذر شياطين الإنس:

إن الشياطين تصفد في رمضان، ولكن من لنا بشياطين الإنس الذين تفلتوا من كل قيد وتحللوا من كل رباط.. لقد ظهر شياطين مردة، وأبالسة فجرة، يستحي إبليس من فعالهم، ويتعلم الشيطان وجنوده منهم، ظهروا على المسلمين عبر شاشات وقنوات الرذيلة، يبشرونهم ببرامج خلابة ومشاهد جذابة، يعدونهم ويمنونهم بما سيقدمون لهم من أغنيات ماجنة، ورقصات آثمة، وأفلام ساقطة..

(١) متفق عليه.
(٢) من الطارق- د. خالد أبو شادي.

ولا يستحيون حينما يتبجحون فيقولون للناس: إن ذلك بمناسبة رمضان المبارك!! وأي بركة، وقد برك إبليس على قلوبهم، وجثم الباطل على صدورهم، وعشعش الخنا في ثنايا نفوسهم وأعماق حياتهم؟!

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا﴾ [النساء ٧٢]..

فهم يقومون بدور إبليس على أكمل وجه، ويحتلون مكان الشيطان على أتمِّ صورة، ويهتفون في مسمعه البغيض، نم فإن عليك شهر طويل عريض، ونحن على آثارك مهتدون، وبدورك قائمون، وعن مهام حزبك مناضلون.. فيا ليت شعري متى نرى القيود والأصفاد في أرجل هؤلاء الشياطين المفسدين، نعوذ بالله منهم أجمعين!

وصية عملية

** تذكر كم استنزف الشيطان منك الحسنات وكم أغضبت ربك بارتكاب المحرمات.. فاعقد العزم أن تبدأ من الآن في نسف سيئاتك والتخلص من سيئ عاداتك وبناء جسور من الطاعات تعينك في معركتك مع الشيطان.

** اعلم أن الشيطان لن يرضي أن تعود بعد رمضان بالربح والثواب ويعود هو بالخسران والتباب.. فاحذر هجمته الشرسة بعد رمضان.. وتيقظ له وانتبه لمداخله واستعذ بربك منه فهو ملجؤك وقوتك.

إضاءة

«إذا علمت أن الشيطان لا يغفل عنك فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده».

[ابن عطاء الله].

فإنـــه يـــــراك

ألم يعلم بأن الله يري؟!

• «حين توصد الأبواب وتحكم الأقفال وتسد منافذ النور أن تقتحم ظلام خلوتك.. فإنه يراك.

• حين تطمئن أن أعين الخلق نامت وأجسادهم استراحت وآذانهم لغيرك راحت.. فإنه يراك.

• حين تسترق النظر وتتنصت بسمعك.. وتخفي آثار قدمك وتطمس بصمات كفك.. فإنه يراك.

• حين تختلي بحرمة من محارم الله فتكون وحيدا لا تسمعك أذن ولا تراك عين.. فإنه يراك»[1].

ويحك يا صاح..

إن الله لا تخفى عليه خافية.. فكيف تستتر منه وأنت مقبل عليه؟

كيف يمكن أن تعمل عملاً واحدًا لا يراه؟

وهو يقول:

﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق ١٦]..

فخير لك أن تراقب الله تعالي في كل عمل عملته، وكل كلمة قلتها وكل خاطرة وسوست بها نفسك، وكل حركة تحركتها جارحة من جوارحك.

وإذا خلوت بريبة في ظلمة ... والنفس داعية إلى الطغيان

فاستحي من نظر الإله ... وقل لها إن الذي خلق الظلام يراني

(١) ولكن كونوا ربانيين ص ٥٢ بلال وهب.

فما هي المراقبة؟

قال ابن القيم رحمه الله:

«المراقبة دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه وهي ثمرة علم العبد بأن الله رقيب عليه، ناظرٌ إليه، سامع لقوله، وهو سبحانه مطلع على عمله كل وقت وكل طرفة عين».

وقال سفيان الثوري يومًا لأصحابه:

«أخبروني لو كان معكم من يرفع الحديث إلى السلطان أكنتم تتكلمون بشيء؟ قالوا: لا، قال، فإن معكم من يرفع الحديث إلى الله عز وجل».

رمضان وأسوار المراقبة:

بين المراقبة والصيام صلة وثيقة..

فالصوم يؤدي إلى إشعار الصائم بمسئوليته عن نفسه والرقابة عليها فلا يطلع على خفيات أعماله إلا الله..

فالصوم أمر موكول إلى النفس والصائم هو الرقيب على نفسه.. فالصائم بوسعه أن يدعي الصيام أمام الناس ثم هو يأكل ويشرب في الخفاء ولا يعلم بأمره إلا الله ولكن لأنه يراقب الله لا يفعل.. وهكذا تتجلى عظمة الصيام في السرية التي تكون بين الله وبين عبده.. فهو يدرب المؤمن على أن يستحي من الله في سره فضلا عن علانيته فلا يتناول شيئا من المفطرات لأن الله تعالي يراه وهذا عين الإحسان الذي هو استحضار الرقابة الإلهية في كل حين وكل حالة، مصداقا لقول النبي عليه الصلاة والسلام لما سئل عن الإحسان فقال:

«أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[1].

(١) رواه البخاري.

فكيف تحب أن يراك ربك عزوجل؟..

- يراك بين صفوف المصلين والخاشعين أم مع أرباب اللهو والغافلين؟
- يراك سابقًا بالخيرات مبادرًا بالأوقات أم هاتكًا للحرمات مقيمًا على الموبقات؟
- يراك وأنت تلبس أثواب الذل والافتقار أم وأنت تبارزه بالقبائح والأوزار؟
- يراك وأنت مقبل على كتابه تلاوة وتدبرًا بكل جد وعزيمة أم يراك وأنت منغمسًا في جلسات السمر والغيبة والنميمة؟

خلل في المراقبة:

إن كثيرًا من الصائمين يراقبون الله تعالى في صيامهم من جهة الأكل والشرب وسائر المفطرات الحسية، ويشددون على أنفسهم في ذلك حتى تجدهم يسألون عن قطرة العين والأنف والأذن، وعن الغبار والدخان والطيب هل هي من المفطرات؟ ويجتنبونها احتياطًا لصومهم، ولكنهم لا يتقون الله تعالى ولا يراقبونه فيما يخل بالصوم، أو يذهب أجره كالغيبة والنميمة والزور والبهتان، والنظر إلى المحرمات وسماعها وهذا من أعظم الخلل في فهم حقيقة الصوم.

فيا من ألهتك الذنوب عن الطاعات.. وصدك الهوى عن مراقبة مولاك في الخلوات!.. خلوت بالحرمات.. ولم تزجر النفس عن الموبقات!

ويحك..

تصلي ولكن بلا حضور.. وتصوم عن الطعام ولكنك بالغيبة مغمور.. باطنك خراب والظاهر معمور.. ما هذا الخداع والغرور؟

أما سمعت قوله تعالى:

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر ١٩].

فما الفائدة في التستر والاختفاء؟

بل ما الفائدة من الإعراض والانصراف؟..

فالعاقل من راقب العواقب..

والجاهل من مضي قُدُما ولم يراقب.

** وهي وصية حاتم الأصم رحمه الله:

«إذا عملت، فاذكر نظر الله إليك، وإذا تكلمت، فاذكر سمع الله منك وإذا سكت، فاذكر علم الله فيك».

قال سهل بن عبد الله رحمه الله:

«لم يتزيَّن القلب بشيء أفضل ولا أشرف من علم العبد بأن الله شاهده حيث كان».

أمسكْ عليكْ لسانكْ

حصائد الألسنة:

هل تصورت يومًا أن كل ما تكلمت به ونطق به لسانك خلال شهر مثلا قد جاءك في فاتورة كفاتورة الهاتف.. فيها كل ما قلته من خير وشر، من حق وباطل، من غيبة ونميمة، سخرية واستهزاء، كلام فيما لا يعني ولا يفيد.. كلام جُله اللغو الضائع أوالهذر الضار، أغلب الأحاديث عن الكرة والفن والسينما والمال والمتعة والمطاعم والمشارب والفنانين والأغاني والنكات والقنوات والمجلات والمباريات و...

تصور أن هذه هي فاتورة الحساب الأخروي.. فكيف سيكون حالك أمام ربك؟

تخيل عندما تقف بين يدي ربك يوم القيامة وفاتورة لسانك ليس بها إلا قليل من تهليل وتكبير، وتسبيح وتحميد وقراءة قرآن وإسداء النصح وسؤال الخير وحث على الفضيلة وشكر لله وثناء عليه.

عجبًا لكَ..

أما سمعت قول ربك عزوجل:

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق١٨].

أما يستحي أحدكم لو نشرت صحيفته التي أملى صدر نهاره، وليس فيها شيء من أمر آخرته..

يا هذا..

قل لي بربك فيم أنفقت أعمارك وأوقاتك؟ هل في شيء غير هلاكك ودمارك؟ أين عقلك، أين إشفاقك عندما تتصفح ديوانك وتُنشر عثراتك؟ وساعتها تبكي

وتقول لساني أوردني المهالك! فهل استعددت لذلك؟

احْفَظْ لَسَـانَكَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ لاَ يَلْـدَغَنَّـكَ إِنَّـهُ ثُعْبَـانُ
كَمْ فِي الْمَقَابِرِ مِنْ قَتِيلِ لِسَـانِهِ كَانَتْ تَهَـابُ لِقَاءَهُ الشُّجْعَانُ

فاتورة الحساب الأخروي:

«من العجائب أن أحدنا إذا تسلم فاتورة الهاتف التي تسجل مكالماته في دقائق لا تقاس بساعات وأيام عمره، ثم وجد تلك الفاتورة بدقائقها وثوانيها عالية التكلفة فعليًا تصبب عرقًا وتأمل في مكالماته هذه التي جلبت عليه تلك التكلفة العالية..

هل تستحق أن تدفع فيها هذه المبالغ؟

وهل كانت لها قيمة توازي التكاليف؟

بعض النـاس يأخذ نفسه بحزم زائد.. فيطلب أن يكون هاتفه للاستقبال فقط وليس للإرسال حتى لا يضطر لدفع تكاليف الإرسال.. والحصيف يفعل هذا مع لسانه عندما يحيل بعض مهامه إلى الأذن حيث يسمع أكثر مما يتكلم فهو يخشى ألا تكون له قدرة على سداد فواتير كلامه يوم الحساب.. إن فاتورة الحساب الأخروي على حصيلة كلامك -أيها الصائم- بالغة التركيب والتعقيد.. ومخرجك الوحيد للتخفف من ثقلها هو العمل بوصية نبيك ﷺ الحريص عليك عندما قال:

«أمسك عليك لسانك»[1].

لسانك في رمضان:

في رمضان فرصة عظيمة لتربي نفسك على طيِّب الكلام، فتُحاسِب ألفاظك، وتُؤدِّب منطقك، وتزن كلامك، لأنَّك مُحاسَب على كلِّ كلمة تصدُر منك، سواء

(١) أخرجه الترمذي. روح الصيام ومعانيه ص٨٧ د. عبد العزيز كامل.

أكان ذلك في رمضان أم في غيره.. فإذا كنت في رمضان تصوم عن الشراب والطعام.. أيعقل أن تطلق لسانك في الفواحش والآثام؟

قل لي بربك...

ما جدوى الصيام إذا لم تتهذب به الألسنة وتتطهر به النفوس وتتعود من الأدب الكريم والخلق القويم؟

وما فائدة الحرمان إذا لم تكن من ورائه عفة القول وسماحة الكلام ولين الحديث؟

فهل يتدبر هذا أولئك الذين جعلوا الصيام إثارة للأعصاب وتهييجًا للشرور وأكلاً للحوم الناس وولوغا في أعراضهم..

لا يكاد إنسان يتحدث إلى أحدهم حتى تثور ثائرته ويشتد غضبه وصخبه ويقذف لسانه بفحش القول وهجر الكلام.. ويقول الناس: معذور إنه صائم.. كلا والله ما هو بصائم... ولو كان صائمـًا لكان مهذب الخلق رقيق العاطفة.. يملك نفسه ويسيطر على أعصابه، يذكر دائمـًا أنه صائم وأنه قائم في عبادة ربه فلا يليق به أن يفحش ولا يجمل به أن يسلم نفسه للشيطان ويلطخها بالمآثم والعصيان.

تحذيرات نبوية:

١ - قال ﷺ:

«إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تُكَفِّر اللسان، وتقول: اتق الله فينا فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»[1].

[ومعنى تكفر اللسان: أي تخضع وتذل له بالقول نصحًا وتحذيرًا].

(١) الترمذي ٢٤٠٧.

٢- وقال ﷺ:

«ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء»[١].

٣- وقال ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه:

«كف عليك هذا -يعني اللسان-»..

فقال معاذ: وإنا مؤاخذون بما نتكلم به؟!.. فقال:

«ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم»[٢].

آكلو لحوم البشر:

الغيبة بضاعة كاسدة وسلعة رخيصة لا يسعى لها ولا يحافظ عليها إلا ضعاف الإيمان وهي في الوقت نفسه تجارة خاسرة للمغتاب حيث إنه يخسر كثيرًا من حسناته، ويكسب كثيرًا من الذنوب والسيئات.. والغيبة كما قال النبي ﷺ:

«ذكرك أخاك بما يكره».

قيل: يا رسول الله، إن كان في أخي ما أقول؟ قال:

«إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهتَّه»[٣].

وما يكرهه الإنسان يتناول خَلْقَه وخُلُقه ونسبه في فعله أو في قوله أو في دينه، حتى في ثوبه وداره ودابته وكل ما يخصه.. قال الله عزوجل:

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات١٢]

(١) الترمذي ١٩٧٧.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) صحيح مسلم ٤٦٩٠.

وما أجمل ما قاله د. محمد عبد الله دراز في تعقيبه على هذه الآية:

«وها هنا كشف عن الأبصار غطاءها، وأزاح عن الحقائق نقابها، وأخرج جسم الحقيقة ماثلا فى سوءة بادية، تقذى بها العيون، وريح منتنة تزكم منها الأنوف، وطعم كريه تعافه الأذواق تغفى من النفوس... نعم من لم يعرف كنه جريمة الغيبة، ولا حقيقة مرتكبيها، فلينظر إليها وإليهم فى مرآة القرآن، هنالك يرى، ويا هول ما يرى..

يرى خوانًا ممدودًا قد ألقيت عليه فريسة من البشر؟

ويرى حول الخوان شرذمة جلودها جلود البشر وقلوبها قلوب النمر، وقد جعلوا ينالون من هذه الفريسة، لا رميًا بالسهام وبالنبال، ولا طعنًا بالخناجر والنصال، ولكن قضمًا بالأسنان، ولكن لعقًا باللسان فعل الضوارى بالرمم.. هل رأيت أفجر وأغدر؟ أم هل رأيت أرذل وأنذل؟ وما ظنك بعد هذا كله لو كان المأكول أخا للآكلين، أخًا فى أسرة النسب، أو أخًا فى أسرة الدين؟.. تلك هى جريمة الغيبة كما صورها القرآن فى كلمات بليغة خالدة.. أيها الصائمون لئن كانت هذه طعمة خبيثة، وفاحشة شنيعة فى كل زمان، لهى فى زمن الصوم أخبث وأفحش و أشنع، إنها تكذب الصوم وتنقضه، وتحبطه و تبطله، أصوم عما أحل الله وأفطر على ما حرم الله؟

أيها الصائمون:

﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [النور١٧].

بيان هام للإمام ابن القيم:

«ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنا والسرقة وشرب الخمر، ومن النظر المحرم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه، حتى ترى الرجل ليشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يلقي لها بالاً، ينزل بالكلمة الواحدة منها

أبعد مما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات، ولا يبالي ما يقول».

فواعجباه..

هل صامَ مَن أكَل لحوم البشر ونهَش أعراضَهم وأفسَد فيما بينهم؟ هل صام مَن كانت مجالسه عامرةً بأذيَّة المسلمين وهتْك محارمهم ونشْر الرَّذيلة بينهم؟

هل صامَ مَن أطلَق لسانه بالقيل والقال وقذَف الأبرياء وشوَّه سمعة الأتقياء؟

وصية عملية

** اشتغل بعيوبك عن عيوب غيرك واحبس لسانك قبل أن يطول حبسك أو يتلف نفسك أو يعرضك لسخط ربك.

** إياك وكثرة الكلام فيما لا يعني ولا يفيد.. فمن «كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به» كما قال عمر بن الخطاب ﷺ.

إضاءة

«نظر بعضهم إلى رجل يُفحش فقال له:

يا هذا.. إنك إنما تُملي على حافظيك كتابًا إلى ربك.. فانظر ما تقول!».

وجنتك المحراب

أغلى اللحظات:

عندما تسكن الحياة ويخفت الضجيج ويحل الظلام ويقل الزحام... يتسلل المقربون إلى المحاريب في سكون ينصبون أجسادهم بين يدي ربهم في أدب وخشوع وذل وخضوع.. يقرأون كتابه ويتلون آياته.. يمجدونه ويعظمونه.. ويحمدونه ويمدحونه..

ألا ما أروع الليل..

حبيب المشتاقين.. ومأوى المحبين..

وخلوة الطائعين.. وأنيس الراكعين والساجدين..

وميدان المتهجدين.. ولذة المتضرعين وهمة المتهجدين.

الليل... إعلان الرهبة.. وعنوان السكون.. ومظنة الخشوع.. تكثر فيه الآهات.. تحلو فيه العبرات والندم على العثرات والاعتراف بالهفوات والزلات.

في عتمات الليل قلوب خاشعة، وأنفس زكية، وألسن ذاكرة، وأعين ساهرة، وجباه ساجدة، وجنوب متجافية.. ولذة مناجاة وحلاوة مناداة.

في الليل.. يصُفّ المؤمن أقدامه.. ويشكو فيه آلامه.. وينثر في سكونه دموعه.. ويعلن توبته ورجوعه.. إذا نام الناس قام.. وإذا غفلوا أفاق.

يقول الإمام بن رجب رحمه الله:

«الليل منهل يرده أهل الإرادة كلهم ويختلفون فيما يردون ويريدون.. فالمحب يتنعم بمناجاة محبوبه.. والخائف يتضرع لطلب العفو ويبكي على ذنوبه.. والراجي يلح في سؤال مطلوبه.. والغافل المسكين أحسن الله عزاءه في حرمانه وفوات نصيبه».

وما أجمل ما قاله الأستاذ محمد أحمد الراشد:

«سجود المحراب، واستغفار الأسحار، ودموع المناجاة: سيماء يحتكرها المؤمنون ولئن توهم الدنيوي جنانه في الدينار، والنساء، والقصر المنيف، فإن جنة المؤمن في محرابه».

رمضان وقيام الليل:

في رمضان فرصة عظيمة للاتصال بالله عزوجل، وتلقي فيوضه ومنحه، والأنس به والتعرض لنفحاته والخلوة إليه.. فالنفوس في رمضان مشتاقة للطاعة.. متلهفة على المغفرة.. تحن الأرواح إلى التحليق بعيدا عن أغلال المادة وجواذب الشهوات.

فلو نظرت إلى أحوال المصلين في صلاة التراويح في المساجد لوجدتهم:

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة ١٦]

فهذا محبٌ يتنعّم بالمناجاة، وذلك محسنٌ يزداد في الدرجات، ويسارع في الخيرات، ويجدّ في المنافسات، وآخر خائفٌ يتضرّع في طلب العفو، ويبكي على الخطيئة والذنب، ورَاجٍ يلحّ في سؤاله، ويصرّ على مطلوبه، وعاصٍ مقصّر يطلب النجاة، ويعتذر عن التقصير وسوء العمل، كلهم يدعون ربهم، ويرجونه خوفًا وطمعًا، فأنعم عليهم مولاهم، فأعطاهم واستخلصهم واصطفاهم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟»[1].

(١) متفق عليه.

أخي الحبيب..

أين أنت من هؤلاء الطائعين..

أما لك معهم نصيب؟

أفيدعوك مولاك إلى المغفرة والرحمة فلا تجيب ويأمرك بالإنابة فلا تنيب؟!

يا من يُدعي إلى نجاته فلا يجيب.. يا من رضي أن يخسر ويخيب؟!

ويحك..

أين مناجاة الخاشعين؟ أين زفرات المذنبين وآهات التائبين وأنين المستغفرين؟

أين دعاء المخبتين ومناجاة المحبين ووجد المشتاقين؟

يا هذا...

ليلك ضائع في مطاردة القنوات والتقاط التفاهات ومشاهدة أراذل المحطات والجري وراء السمرات..

ويحك يا نفس..

كلما بحثت عنكِ في هذه الأوقات.. وجدتك مشغولة بالشهوات والملذات.. نائمة في بساط الغفلات.. فمتى تستيقظين من هذه الرقدات؟!

إني أشتاق إلى ركعتين في جوف الليل قبل المماتِ.. إنني أتمني أن ألحق بركب عباد الرحمن..

﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴾ [الفرقان ٦٤].

قبل الفوات..

قبل حلول أجلك فتتمني الرجعة ولكن هيهات هيهات..

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [الزمر ٩].

يقول ابن عباس ﷺ:

«من أحب أن يهوِّن الله عليه طول الوقوف يوم القيامة فليره الله في ظلمة الليل ساجدًا وقائمًا، يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه».

معينات على الطريق:

١- الإخلاص لله تعالى: فكلما قوي إخلاص العبد كان أكثر توفيقًا إلى الطاعات والقربات.

٢- سلامة القلب من الحقد والحسد، واجتناب البدع، ولزوم السنة، والحرص عليها.

٣- امتلاء القلب من الخوف من الله، مع قصر الأمل.

٤- أن يستشعر مريد قيام الليل أن الله تعالى يدعوه للقيام: فإذا استشعر العبد أن مولاه يدعوه لذلك وهو الغني عن طاعة الناس جميعًا كان ذلك أدعى للاستجابة.

٥- قلة الأكل والشرب: فإن كثرة الأكل تدعو إلى غلبة النوم لاسيما أكل العشاء قال سفيان الثوري:

«عليكم بقلة الطعام تملكوا قيام الليل».

٦- البعد عن الذنوب والمحرمات: فإنها توجب الأضرار والعقوبات، ومن عقوباتها الحرمان من الطاعة، فإن المعصية تدعو إلى أختها، وتصد عن الطاعة قال رجل لأحد الصالحين: لا أستطيع قيام الليل، فصف لي في ذلك دواءً، فقال:

«لا تعصه بالنهار، وهو يقيمك بين يديه في الليل».

** احرص على أداء صلاة التراويح من أول يوم في رمضان في مسجد يصلي بجزء من القرآن وحاول أن تقرأ الجزء الذي سيقرأه الإمام في الصلاة قبل أن تذهب لصلاتك فهذا يساعدك على التدبر والتركيز.

** احرص بعد رمضان على المواظبة على ركعتين قيام ولو قبل النوم واستمر على ذلك زمنا حتى إذا تعودت على ذلك زد على قدر عزيمتك ونشاطك.

قيل للحسن البصري: ما بال المتهجدين بالليل من أحسن الناس وجوهًا؟ قال:

«لأنهم خلوا بنور الرحمن فألبسهم نورًا من نوره».

الدعاء أقرب طريق إلى العبودية

الافتقار حقيقة العبودية:

إن حقيقة غنى المرء في الحياة أن يعيش فقيرًا إلى الله، وهذه هي حقيقة العبودية.. فالعبادة بجميع مظاهرها وشتى أحوالها وكامل أفعالها وأقوالها مظهر صادق للافتقار، بل هي المظهر الأسمى والأسلوب الأرقى.. فالخلق كلهم مفتقرون إلى ربهم في جلب منافعهم ودفع مضارهم، لإصلاح دينهم ودنياهم، وكمالُ المخلوق في تحقيق عبوديته لله عز وجل، وكلما ازداد العبد تحقيقًا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته.

والدُّعاء تتجلي فيه حقيقة العبودية عبر الالتجاء والافتقار للخالق.. فبه يشعر المرء بفقره وفاقته، وضعفه وحاجته، وبقوة وغنى خالقه.. ويظهر الخشوع ويزيد الخضوع ويشتد الانكسار لعظمة الجبار.

حقيقة الدعاء:

قال الإمام الخطَّابي:

«حقيقة الدُّعاء استدعاء العبد من ربِّه العناية واستمداده إياه المعونة، وحقيقته إظهار الافتقار إليه والبراءة من الحول والقوَّة التي له وهو سمة العبودية وإظهار الذّلة البشرية فيه معنى الثناء على الله وإضافة الجود والكرم إليه».

إن المؤمن حين تضيق به الأرض بما رحبت ويظن أنه أحيط به يجأر بالدعاء إلى الله يطلب معيته ويرجو جواره.. لأن الدعاء استشعار بالضعف الإنساني، واعتراف بالإله القوي فيناديه الضعيف كي يكون معه يحميه ويحفظه ويرعاه ويكلأه بعنايته، فيتحقق بذلك أسمى أنواع العبودية.

فإني قريب:

وكيف لا ينادي مولاه وهو القريب؟ وكيف لا يسأله وهو المجيب؟ وكيف لا يطلبه وهو المعطي؟

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة ١٨٦].

قريب:

يغيث اللهفان، ويشبع الجوعان، ويسقى الظمآن، ويتابع الإحسان.

قريب:

عطاؤه ممنوح، وخيره يغدو ويروح، وبابه مفتوح.

قريب:

فرجه فى لمحة البصر، وغوثه فى لفتة النظر، المغلوب إذا دعاه انتصر.

قريب:

فإياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق دونك بابه وجعل دونها حجابه.. وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة أمرك أن تسأله ووعدك أن يجيبك.

أخي..

يا من لك حاجة دينية أو دنيوية.. عليك بالتضرع إلى الله والانكسار.. فكم من دعوة رفع الله بها المكاره وأنواع المضار؟ وجلب بها الخيرات والبركات والمسار.. وكم تعرض العبد لنفحات الكريم في ساعات الليل والنهار فأصابته نفحة منها في ساعة إجابة فسعد بها وأفلح والتحق بالأبرار.. وكم ضرع تائب فتاب عليه وغفر له الخطايا والأوزار.. وكم دعاه مضطر فكشف عنه السوء وزال عنه الاضطرار.. وكم لجأ إليه مستغيث فأغاثه بخيره المدرار.

رمضان والدعاء:

إِذَا لم يَكُنْ رَمَضَانُ هُوَ شَهرَ الدُّعَاءِ وَفُرصَةَ الابتِهَالِ وَالنِّدَاءِ فَفِي أَيِّ شَهرٍ يَكُونُ ذَلِكَ؟! وَإِذَا لم يَستَغِلَّ العَبدُ مَوسِمَ الرَّحمَةِ لِيَرفَعَ إِلى مَولاهُ حَاجَاتِهِ وَرَغَبَاتِهِ فَمَتى يَكُونُ ذَلِكَ؟! وَإِذَا كَانَ اللهُ حَيِيًّا كَرِيمًا يَستَحِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيهِ يَدَيهِ أَن يَرُدَّهُمَا صِفرًا فَكَيفَ بِمَن شَفَتَاهُ مِنَ الصَّومِ ذَابِلَتَانِ وَبَطنُهُ خَالٍ طَاعَةً لِرَبِّهِ وَقَدَمَاهُ مَصفُوفَتَانِ قَائِمًا وَرَاكِعًا وَسَاجِدًا؟! كَيفَ بِهِ إِذَا رَفَعَ كَفَّيهِ وَنَاجَى رَبَّهُ عَلَى تِلكَ الحَالِ؟!

فَيَا أَيُّهَا الصَّائِمُونَ..

أَينَ أَنتُم عَن هَذِهِ الفُرَصِ الكَبِيرَةِ لِلدُّخُولِ عَلَى مَلِكِ المُلُوكِ؟! وَاللهِ لَو فَتَحَ مَلِكٌ مِن مُلُوكِ الدُّنيَا لِلنَّاسِ بَابَهُ يومًا لِيَرفَعُوا إِلَيهِ حَاجَاتِهِم وَيَبُثُّوهُ شَكَاوَاهُم لَوَجَدتَ الزِّحَامَ عَلَى بَابِهِ كَثِيفًا، وَلأَلفَيتَ الحَاضِرِينَ إِلى قَصرِهِ لَفِيفًا، فَكَيفَ وَمَلِكُ المُلُوكِ هُوَ الذي يَفتَحُ البَابَ؟! كَيفَ وَهُوَ سُبحَانَهُ القَرِيبُ المُجِيبُ؟!

يَا مَرِيضًا عَبَثَ بِهِ الدَّاءُ وَالأَلَمُ، يَا فَقِيرًا استَبَدَّت بِهِ الدُّيُونُ، يَا مَهمُومًا، يَا مَغمُومًا، يَا مُحتَاجًا، يَا مُضطَرًّا، أَينَ أَنتُم عَنِ الدُّعَاءِ؟! أَينَ أَنتُم عَنِ التَّضَرُّعِ؟! أَينَ أَنتُم عَن قَرعِ أَبوَابِ السَّمَاءِ فِي هَذَا الشَّهرِ المُبَارَكِ؟! أَلا فَادعُوا اللهَ مُوقِنِينَ، وَالجَؤُوا إِلى الرَّحِيمِ مُستَسلِمِينَ، وَارغَبُوا إِلى الكَرِيمِ مُخلِصِينَ، اُدعُوا دُعَاءَ المُضطَرِّينَ، وَأَلِحُّوا إِلحَاحَ المُحتَاجِينَ، فَوَاللهِ لا غِنى لَكُم عَن رَبِّكُم طَرفَةَ عَينٍ..

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل ٦٢].

حتى تكون مجاب الدعوة:

ولإجابة الدعاء شروط وآداب كثيرة منها:

تحري الحلال – ابتداء الدعاء وختمه بحمد الله وتمجيده والثناء عليه والصلاة

على النبي عليه الصلاة والسلام – حضور القلب وإظهار الفاقة والضراعة إلى الله – اليقين من الإجابة – تجديد التوبة والتخلص من الذنوب – تحري أوقات الإجابة – عدم الاستعجال.

إياك والاستعجال:

وأود –أخي الكريم– أن أقف معك وقفة مع الاستعجال لأنه أمر هام وخطير وملاحظ بين كثير من المسلمين.. فكم من الناس يقول لقد دعوت كثيرا ولم يُستجاب لي فيتوقف عن الدعاء ويُصاب باليأس والقنوط.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول قد دعوت الله فلم يستجب الله لي»[1].

وللإمام ابن الجوزي كلام نفيس في مسألة الاستعجال فيقول:

«تأملت حالة عجيبة وهي: أن المؤمن تنزل به النازلة فيدعو ويبالغ، فلا يرى أثرًا للإجابة.. فإذا قارب اليأس نُظر حينئذ إلى قلبه فإن كان راضيًا بالأقدار غير قنوط من فضل الله عز وجل، فالغالب تعجيل الإجابة حينئذ لأن هناك يصلح الإيمان ويهزم الشيطان وهناك تبين مقادير الرجال.. فإياك أن تستطيل مدة الإجابة وكن ناظرًا إلى أنه المالك وإلى أنه الحكيم في التدبير والعالم بالمصالح وإلى أنه يريد اختبارك ليبلو أسرارك وإلى أنه يريد أن يرى تضرعك وإلى أنه يريد أن يأجرك بصبرك وإلى أنه يبتليك بالتأخير لتحارب وسوسة إبليس وكل واحدة من هذه الأشياء تقوي الظن في فضله وتوجب الشكر له إذ أهلّك بالبلاء للالتفات إلى سؤاله.. وفقر المضطر إلى اللجأ إليه غني كله».

وما أجمل وصية ابن عطاء الله رحمه الله:

«لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجبًا ليأسك، فهو قد ضمن

(١) متفق عليه.

لك الإجابة فيما يختاره لك، لا فيما تختاره لنفسك، وفي الوقت الذي يريد لا الوقت الذي تريد».

** الزم باب مولاك وأدم القرع وأدمن الوقوف وتحر أوقات الإجابة ولا تستبطئ الفرج ولا تيأس من روح الله.

** لا تنسى الدعاء لإخوانك المستضعفين والمكروبين في مشارق الأرض ومغاربها أن يفرج الله كربهم ويعجل نصرهم ويهلك عدوهم.

عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال:

«أنا لا أحمل همّ الإجابة ولكن همّ الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء كانت الإجابة معه».

إلى الأخلاق من جديد

حتى لا تُهدم قلعة الأخلاق:

يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1].

هكذا حدد الرسول الغاية الأولى من بعثته والمنهاج المبين في دعوته فيلخص رسالته في هذا الهدف النبيل، وتتوارد أحاديثه تترى في الحض على كل خلق كريم، وتقوم سيرته الشخصية مثالاً حيًا وصفحة نقية وصورة رفيعة.

إن الأخلاق الفاضلة ركيزة أساسية من ركائز هذا الدين في بناء الفرد وإصلاح المجتمع، فسلامة المجتمع وقوة بنيانه وسمو مكانته وعزة أبنائه بتمسكه بفضائل الأخلاق.. كما أن شيوع الانحلال والرذيلة والفساد مقرون بنبذ الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة.

ونظرة إلى مجتمعاتنا اليوم تكفي لتشخيص انهيار الأخلاق عند أكثر الناس.. فقد كثرت الخصومات وعظمت الشكايات واستشري الشقاق وتأججت نيران العداوات.. انتشر الكذب وضيعت الأمانة وخلع جلباب الحياء وطفح الغش والبخس والتطفيف.. وتصاعدت أدخنة الفحش والسب واللعان.. وزكمت الأنوف من رائحة الغيبة والنميمة والسخرية والاستهزاء وسرت نيران الحقد والحسد والشحناء والبغضاء سريان النار في الهشيم.

رمضان وعودة الأخلاق:

إن المقصد الأساسي من الصوم هو السمو بالنفس إلى المستوى الملائكي،

(١) أخرجه الحاكم والبيهقي.

وصون الحواس عن الشرور والآثام، فالكف عن الطعام والشراب ما هو إلا وسيلة إلى كف اللسان عن السب والشتم والصخب، وإلى كف اليد عن الأذى، وإلى كف البصر عن النظرة الخائنة، وإلى كف السمع عن الإصغاء للغيبة والنميمة والقول المنكر..

فالصِّيام رياضة تحدُّ مِن ثورة النَّفس البهيميَّة لتُقَوِّي في الإنسان ناحية الملائكيَّة، والشِّعار الملائكي: لا فُحش، ولا مُنكر، ولا زور، ولا كَذِب، ولا أذى، وعن هذا عَبَّر رسول الله ﷺ بقَوله:

«مَن لَمْ يَدَع قول الزُّور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدعَ طعامَه وشرابه»[1].

لأنَّه إذا ترك طعامه وشرابه، وما ترك كذبه، ولا افتراءه، ولا غِشَّه، ولا تدليسه، ولا إيذاءه، فقد جاع وما صام، وحَقَّق الهيكل المادي للصوم، وأهمل روحه، وعني بالصُّورة الشَّكليَّة الظاهرة، وما عني بالكلمة الإلهيَّة المقصودة، والله غنيٌّ عنِ العبد وعبادته، وما كلف عبده بما كلفه إلاَّ لِمَصلحة العباد أنفسهم، فإذا كانت عبادتهم مُجَرد صور وأشكال، فهيَ لا تُحَقِّق ما قَصَده الله مِن تَعَبُّدهم بها.

فالصائم كما يجب عليه أن يَتَحَرَّجَ من وصول طعام أو شراب إلى جوفه، يجب عليه أن يَتَحَرَّجَ من صدور منكر منَ الأقوال والأفعال منه، ولَعَلَّه إذا قهر نفسه الأَمَّارة بالسُّوء، وسلم الناس من لِسَانه ويده في رمضان، اعتاد هذا الخير، وكان لِرَمضان أثره المحمود في نفس الصَّائم في عامِه كله، وفي عُمره كلِّه.

يقول النبي ﷺ:

«الصيام جُنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث -لا يتكلم بالكلام

(١) رواه البخاري.

الفاحش- ولا يَصْخُب -لا يكثر لغطه- فإن سابَّه أحد أوقاتله فليقل إنِّي امرؤ صائم»[1].

محفزات نبوية:

١- عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ:

«أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم»[2].

٢- عن أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال:

«ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذيء»[3].

٣- عن جابر بن عبد الله ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال:

«إن من أحبكم إلى وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إلى وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون، قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون»[4].

«الثرثارون: هم الذين يكثرون الكلام ويتكلفونه، المتشدقون: هم الذين يتكلمون بملء أفواههم، ويتصنعون القول تصنعًا مع التعاظم به والتعالي به على الناس».

٤- عن عائشة ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»[5].

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) رواه الترمذي.
(٤) رواه الترمذي.
(٥) رواه أبو داود.

فهل وعي المؤمنون قيمة حسن الخلق؟!

أين صدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهد؟

أين بر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الجيران؟

أين إعانة الضعيف وإغاثة الملهوف والرفق باليتيم؟

أين إطعام الطعام وطيب الكلام وإفشاء السلام؟

إخواني في الله..

إن امتثال الأخلاق الفاضلة واجتناب الأخلاق السيئة لا يتحقق بمجرد القراءة عنها وعن فضل هذه وثوابها وعن سوء الأخرى وعقابها.. ولكن لابد من التمرس على امتثال الأخلاق الفاضلة واجتناب السيئة وهذا يحتاج إلى مجاهدة النفس وترويضها حتى تألفها وتعتادها خاصة وأن في النفس نوازع للشر يسعى الشيطان والنفس الأمارة إلى نموها وسيطرتها فلابد من المجاهدة المستمرة وعدم اليأس.

** ابحث داخل نفسك عن الأخلاق السيئة وتخلص منها فورا واحذر من المقولة السائدة بأن الأخلاق لا تقبل التغيير.. فقط عليك بالصبر والمجاهدة وقبل ذلك الاستعانة بالله عزوجل.

«حسن الخلق يستر كثيرًا من السيئات، كما أن سوء الخلق يغطي كثيرًا من الحسنات».

اكتشف الكنز الذي بداخلك

سر التفوق والنجاح:

كثيرًا ما كنت أنظر إلى سير العظماء والناجحين في هذه الحياة.. فأقول لنفسي إنهم بالتأكيد وُلدوا عمالقة أو أنهم يمتلكون قدرات خارقة أو إمكانيات جبارة أوطاقات هائلة أو عصا سحرية.. فالفرق بيننا وبينهم شاسع والبون عظيم، فكأنهم ليسوا من البشر.. ثم تبين لي خطأ ما كنت أعتقد بعد تجربة فشل كبيرة في حياتي أدركت وقتها أنني لن أخرج من زنزانة الفشل.. ثم استعنت بالله وعقدت العزم حتى نجحت في إخراج المارد العملاق من القمقم وعندها أدركت سر التفوق والنجاح.. إنها الإرادة.

أخي الحبيب..

• هل جربت يوما الوصول إلى مستوي علمي في دراستك وصممت بلوغ ذلك وتحديت كل العوائق والظروف بصمود وإصرار، وتحملت السهر والتعب والعناء إلى أن وصلت إلى ما تصبوا إليه؟

• هل جربت يوما أن تنجز عملا في وقت أقل مما يتطلبه هذا العمل فشحذت عزيمتك وضاعفت جهدك وتسلحت بالقوة والإصرار فنجحت في ذلك؟

إن السر الكبير في النجاح والتفوق هو الإرادة القوية.. نعم إن الإرادة هي المحرَك لقوي للإنسان، فهي الكهرباء لدي الآليات الضخمة التي لا تتحرك بدونه، فجميع ملكات الإنسان وقواه تكون في سبات عميق حتى توقظها الإرادة.. فمهارة الصانع، وقوة عقل المفكر، وذكاء العامل، والشعور بالواجب ومعرفة ما ينبغي وما لا ينبغي كل هذه لا أثر لها في الحياة ما لم تدفعها قوة الإرادة.

إن الفرق بين الإنسان الناجح والآخرين ليس هو نقص المعرفة ولكن نقص الإرادة.. فالإرادة الصادقة للإنسان تشبه قوة خفية تسير خلف ظهره، وتدفعه

دفعًا للأمام على طريق النجاح.. وتتنامى مع الوقت حتى تمنعه من التوقف أوالتراجع.

رمضان وقوة الإرادة:

والصيام وسيلة فعالة لتربية الإرادة.. فلا توجد عبادة من العبادات تكف المسلم عن شهواته وملذاته مدة متصلة من الزمان كهذه العبادة، فهي تدريب لإرادة المسلم على مقاومة الأهواء والملذات ومغريات الحياة.. والمتأمل فيما يتفاوت فيه الناس في هذا الوجود يجد أن محور التفاوت هو الإرادة لا القدرة، فالقدرات الفطرية لدى الناس متقاربة لكن تفاوتهم الأساس يكون في مدى صلابة الإرادة التي تُسخّر القدرة وتوجهها والتي تعين على ضبط النفس، وتكبح جماح الهوى والركون إلى الدعة وسفاسف الأمور ومن هنا فإن الصيام جاء لينمي تلك الإرادة وليُعَوِدْها التوجه إلى الخير ومقاومة نزوات النفس..

ومن المعلوم أنه «بقدر ما تقوى الإرادة يضعف سلطان العادة».. فإذا أدى المسلم الصوم كما ينبغي يصبح الصوم بالنسبة له سلمًا إلى التسامي النفسي بتربية الإرادة، وتقوية العزيمة، لينطلق المسلم من إسار الحاجة المادية إلى آفاق الحرية السامية فيغدو سيد رغائبه وميوله، لا أسير شهواته وملذاته.

وهذا ما يؤكده د. مصطفي زيد في كتابه منهج الإسلام في تربية الإرادة فيقول:

«الصوم إعداد للإرادة وتسليح لها، حتى تكون قادرة على الانتصار في معاركها المستمرة مع البدن، فإن الجسم بحاجاته المتجددة يحاول دائمًا أن يقهر الإرادة، وأن يخضعها لقانونه والإرادة الإنسانية بنزعتها إلى السمو حريصة دائمـًا على أن ترفع معها الجسم إلى عالمها، وأن تبدله بحيوانيته المادية إنسانية مشرقة، وبين حاجات البدن الكثيفة ونزعة الإرادة السامية، يجد الصيام مكانه في نصر الإرادة على البدن، وفي السمو بإنسانية الإنسان على حيوانية الغرائز».

وهكذا تستمر فترة التدريب والرياضة معك طيلة شهر كامل حتى تتقوى

عضلات إرادتك وينمو صمود نفسك، وتكون قادرا على ممارسة الإرادة وعلى قول: لا في الوقت المناسب أمام أي كسل أو إغراء أو شهوة.

وأنت تملك مؤهلات النجاح:

لو طلبت منك قبل شهر رمضان أن تصوم ثلاثة أيام من كل شهر لاعتذرت وامتنعت.. ولو طلبت منك أن تصلي يوميًا ركعتين قيام قبل النوم لعجزت وتكاسلت.. مع أنك في شهر رمضان استطعت أن تصوم ثلاثين يوما متواصلين وتقوم أيضا ثلاثين ليلة متصلين..

بل أكثر من ذلك.. فأنت تصلي في المسجد جميع الفروض، وتقرأ جزءا من القرآن على الأقل، وتتصدق بما وهبك الله في وجوه البر المختلفة، تفعل ذلك كله وزيادة كل يوم، ومع ذلك فإنك تقوم بواجباتك الأخرى من أمور دنياك دون تقصير وتصل رحمك، وتبيع وتشتري، دون أن يحول ذلك بينك وبين فعل الطاعات من واجبات ونوافل.. فأنت إذن تملك من الطاقة ما تستطيع به أن تصنع ذلك في سائر الشهور وليس في رمضان وحده.

فأي مدرسة تقوم بتربية الإرادة الإنسانية وتعليم الصبر الجميل، كمدرسة الصيام التي يفتحها الإسلام إجباريًا للمسلمين في رمضان، وتطوعًا في غير رمضان؟

ويعجبني قول العقاد رحمه الله:

«ما الإرادة إلا كالسيف يصدئه الإهمال، ويشحذه الضرب والنزال.. فالإرادة كالعضلة سواء بسواء، يمكن أن تُنَمَّى بالتدريب والمران، وعادة الالتزام إنما تكتسب بالتدرج؛ والمثابرة أمر عظيم في تنمية قوة الإرادة».

- فما أحوجنا إلى الإرادة الراسخة حين تعرض علينا رشوة مغرية لإبطال حق أو إحقاق باطل.
- ما أحوجنا إلى الإرادة القوية بعد مواقف الفشل ولحظات الضعف وأوقات

العجز والخور.

• ما أحوجنا إلى الإرادة الصلبة للتخلص من سجن الأفكار السلبية وقيود العادات المدمرة التي ما تضخمت واستفحلت إلا في غياب الإرادة.

أخي في الله..

إذا كانت لديك الإرادة.. إذن فأنت لديك المقدرة التي تستطيع عن طريقها أن تجعل المستحيل ممكنا والصعب سهلا ويمكنك أن تحولها إلى طاقة جبارة كي تعينك أن تتغير من الداخل ولقد جربت ذلك في رمضان.. فلم لا تجرب ذلك في بقية حياتك؟!

** حدد نقاط ضعف إرادتك وأسبابها واجتهد في تغييرها وتسلح بالثقة في الله ثم الثقة في نفسك والتفاؤل بالخير وتغذية القلب بالأمل.

** اطرح كلمة لا أقدر.. واهجر كلمة لا أعرف.. وطلق كلمة مستحيل طلاقا بائنا، وقوّ إرادتك واشحذ عزيمتك ولا تحزن أنك فشلت ما دمت تحاول الوقوف على قدميك من جديد.

«لا تمش في طريق من طرق الحياة إلا ومعك سوط عزمك وإرادتك لتلهب به كل عقبة تعترض طريقك».

إستراحة إيمانية «٢»

مواعظ لإحياء القلوب:

• قال سهل بن عبدالله:

ما من يوم إلاّ والجليل سبحانه ينادي: ما أنصفتني عبدي أذكرك وتنساني، وأدعوك إليَّ فتذهب عنّي إلى غيري، وأذْهِبُ عنك البلايا، وأنتَ مُعتكف على الخطايا، يا ابن آدم ما اعتذارك غدًا إذا جئتني؟

• «إن المؤمن ما ثارت في نفسه شهوة إلا أطفأها بأنهار الجنة أوأحرقها بنار جهنم فاستراح منها» [الشيخ على الطنطاوي].

• عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: قَالَ لِي عَبْدُ اللهَّ الرَّازِيُّ:

«إِنْ سَرَّكَ أَنْ تَجِدَ حَلاوَةَ الْعِبَادَةِ، وَتَبْلُغَ ذِرْوَةَ سَنَامِهَا، فَاجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا حَائِطًا مِنْ حَدِيدٍ».

• «لمّا علم الصالحون قصر العمر وحثهم حادي «وسارعوا» طووا مراحل الليل مع النهار انتهابًا للأوقات» [ابن الجوزي رحمه الله].

• يقول الحسن البصري رحمه الله:

«لا تجعل لنفسك ثمنًا غير الجنة، فإنّ نفس المؤمن غالية، وبعضهم يبيعها رخيصة».

• «حفت الجنة بالمكاره وأنت تكرها، وحفت النار بالشهوات وأنت تطلبها، فما أنت إلا كالمريض الشديد الداء إن صبر نفسه على مضض الدواء اكتسب بالصبر عافية، وإن جزعت نفسه مما يلقى طالت به علة الضنا» [يحي بن معاذ].

• قال أبو حفص:

«من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال، ولم يجرها إلى مكروهها في سائر أوقاته كان مغرورًا. ومن ينظر إليها باستحسان فقد أهلكها».

قطوف من بستان المحبة

❋ «يا هذا! إذا رأيت مُحباَ ولا تدري لمن، فَضَع يدكَ على نبضه، وَسَمِّ كُلّ من تظنُّه المحبوب، فإن النبضَ ينزعج عند ذكر الحبيب «إذا ذُكر الله وَجِلَتْ قلوبهم».. المحبّة نَبْضٌ في القلب لا تَفْتَر حركته، وسكون النبض علامة الموت» [الإمام ابن الجوزي رحمه الله].

❋ «المحبة تلقى العبد في السير إلى محبوبه، وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه، والخوف يمنعه أن يخرج عن طريق المحبوب، والرجاء يقوده» [الإمام ابن تيمية].

❋ «لقد أذاب حب الله تعالى في قلبِي كل رغبة في عصيانه، واستهان قلبِي بمغريات الدنيا، وحين تُعرض عليَّ لم يكن عليَّ الا أن أقارن بينها وبين الخالق حتى يتلاشى في قلبِي التَردد في العزوف عن تلك المغريات، فلم يعد من المنطق أن أتجاهل الله رب العالمين وأتجه الى مخلوقاته» [د. فلاح عزيز].

❋ «مَنِ الْمُحَالِ أَنْ تَعْرِفَهُ ثُمَّ لا تُحِبُّهُ، وَمِنَ الْمُحَالِ أَنْ تُحِبَّهُ ثُمَّ لا تَذْكُرُهُ، وَمِنَ الْمُحَالِ أَنْ تَذْكُرَهُ ثُمَّ لا يُوجِدُكَ طَعْمَ ذِكْرِهِ، وَمِنَ الْمُحَالِ أَنْ يُوجِدَكَ طَعْمَ ذِكْرِهِ ثُمَّ لا يُشْغِلُكَ بِهِ عَمَّا سِوَاهُ» [إبراهيم بن على المرثدي].

❋ «واعجبا لمن يدعي المَحبة ويحتاج إِلى من يذكّره بمحبوبه فَلَا يذكره إلا بمذكّر، أقل ما في المَحبة أنَها لَا تنسيك تذكر المحبوب» [الإمام ابن القيم].

❋ قال الحارث المحاسبيّ:

«المحبّة تسليمك إلى المحبوب بكلّيّتك، ثمّ إيثارك له على نفسك وروحك، ثمّ موافقته سرًّا وجهرًا، ثمّ علمك بتقصيرك في حبّه»

❋ سئل ذو النون المصري متى أحب ربي؟ قال: إذا كان ما يكرهه أمرّ عندك من الصبر.

الحرب على الكسل

خطورة الكسل:

حينما ضعفت الهمم عن العبادة وتقاعس الكثير من الناس عن الطاعة بل وفرطوا في أركان الدين فضلاً عن واجباته.. نزل بهم الكسل وخيم عليهم الخمول ودبَّ فيهم الوهن..

فكم من إنسان تدركه مواسم العبادة وتحل به أيام الطاعة ويدرك مجالات الخير فيضيعها بالكسل ويقتلها بالنوم ويقضيها باللهو..

ألا ما أبشع الكسل..

داء مقيت، ومرض قاتل، وخطر فتاك يقتل الهمم ويفتك بالعزائم، ويحطم الإرادة، إذا تلبس به إنسان أضعف قواه، وهبط بمستواه وأثقل جسده وأتلف همته، وعطل فكره وجمد عقله، وقطع إبداعه ومحق رزقه، فهو مجلبة للذل، مدعاة للهوان، مصيدة للشيطان.

والكسل طريق الشيطان المفضل وسبيله المحبب، يحقق به المكاسب، ويصنع به العجائب يحول به بين المرء وقلبه، والمسلم وإيمانه، والمصلي وصلاته، والمجتهد واجتهاده..

إن آفة الكسل الكبرى أنه يجد من النفس البشرية عونًا كبيرًا.. فالنفس في طبيعتها تكره العمل وتحب الدعة والراحة وتفر من المسئولية وتميل إلى الشهوات من النوم والأكل والشرب.. فهي تؤثر هدوء الفتور على حرارة العمل فمن طاوعها سقط في وحل الضالين وانحدر في حضيض الساقطين.

رمضان والقضاء على الكسل:

في رمضان فرصة عظيمة لمحاربة الكسل والقضاء عليه، لأنه في رمضان يخسر الكسل أكبر جنوده وهما الشيطان والنفس الأمارة بالسوء.

فالشياطين قد صفدت في سلاسلها.. والنفس الأمارة قد وهنت قوتها.. لأن الصوم يكسر حدة الشهوة ويحرر النفس من مألوفاتها وعاداتها حتى تصير مطمئنة.. كما أن الهمم في رمضان تكون عالية والعزائم متوقدة والقلوب حية، والأفئدة متطلعة والأنفس مشتاقة.. فالغاية عظيمة والهدف واضح.. جنة عرضها السماوات والأرض.. وانظر إلى أحوال أكثر الناس في هذا الشهر الكريم.. فقد استيقظتْ قلوبهم من النوم والرقدة، ونفضوا عن أنفسهم غبار الغفلة فأقبلوا على الصلاة، وامتلأت بهم المساجد، وأقبلوا على القرآن يقرءونه ويرتلونه، وأقبلوا على صلاة التراويح يتسابقون إليها بقلوب محبة مشتاقة لربهم وأقبلوا على الذكر، وتصدقوا وأطعموا الطعام وأقبلوا على أبواب الخير، فلرمضان أثر على قلوبهم فرفع همتهم بما لم يكونوا عليه قبل رمضان، فرمضان بالنسبة لهم شهر الهمة العالية.. فأني للكسل أن يحيا في هذا الشهر الكريم؟!

«فالصائم حين يتبع المنهج النبوي في إمساكه عن المفطرات وتنظيم غذائه فترة الإفطار ويبتعد عن الإفراط في الشبع ويهجر النوم الذي يستغرق فيه ساعات طويلة معظم نهاره.. لو راعي تلك الجوانب لأدرك أن الصيام علاج الكسل والاسترخاء والتقاعس والخمول.. وهو مبعث النشاط والحيوية لأعضاء الجسم وأنسجته وخلاياه ومجدد حركتها وانتعاشها.. إن الخمول الذي يحدث أثناء الصيام عند البعض مبعثه التخمة والشبع حيث يملؤون بطونهم بوجبات دسمة ينتج عنها ثقل أبدانهم وفتور قواهم.. ومن ثم يخيم عليهم النوم والخمول»[1].

(١) من أسرار الصيام وحكمه ص ٧٢ د.عبد الكريم العمري.

علاج الكسل:

١- اللجوء إلى الله تعالى دائمًا والانطراح بين يديه والإكثار من دعائه.. لذا كان من دعاء النبي ﷺ:

«اللهمّ إنّي أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل، والبخل والجبن وضلع الدين وقهر الرجال»[1].

٢- الاستعانة بالصبر والصلاة.. فالذي ينجو من الكسل في الصلاة لن يكون بحال من الأحوال كسلان في غيرها من العبادت.. فالصلاة تملأ حياته حيوية ونشاطًا وتوثبًا وطموحًا.

٣- علو الهمة ورفعة المقصد ونبل الهدف وسمو الغاية.

٤- قراءة سير العظماء وأرباب الهمم الشامخة والعزائم السامقة.. فإن سيرهم تحيي الهمم وتوقظ العزائم.

٥- مخالطة ذوي الهمم العالية والحياة الجادة.. والبعد عن مخالطة البطالين واللاهين والعابثين والفاشلين.. فمخالطتهم أشبه بالجرب تعدي من اقترب منهم وتؤذي من ركن إليها.

٦- إشغال أوقات الفراغ بما ينفع في الدنيا والآخرة.. حتى لا يكسل الجسم ويترهل الفكر وتتخشب الجوارح.. فالفراغ سم قاتل ومرض فتاك وعدو متربص.

٧- دوام محاسبة النفس.. ومعنى المحاسبة أن ينظر في رأس المال وفي الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان فكذلك رأس مال العبد في دينه الفرائض وربحه النوافل والفضائل، وخسرانه المعاصي، وموسم هذه التجارة جملة النهار فليحاسبها على الفرائض أولا، فإن أداها على وجهها شكر الله تعالى عليه، وإن

(١) البخاري ٢٨٩٣.

فوتها من أصلها طالبها بالقضاء، وإن أداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل، وإن ارتكب معصية اشتغل بعقوبتها ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه.

فيا أيها الكسول..

يا من أهملت إرادتك وعطلت عزيمتك..

عجبًا لك..

أنفقت عمرك في الأماني الكاذبة والخيالات الفاسدة والوساوس الخادعة.. حتى بددت عمرك في سوق الغبن ومزقت ثوب الأيام بكف التفريط وأحرقت شجرة الهمة بنار الخذلان.

ويحك..

كسلك عن الطاعات لا يقابله كسل عن السيئات.. وتثاقل عن الجنات في مواجهة تدفع نحو المهلكات..

انهض فقد بدأ السباق.. فتزود فالسفر والله بعيد.

انهض قبل أن تجد نفسك في المركز الأخير وساعتها لن تنفعك الحسرات يوم الوعيد.

انهض إن كنت تطمح أن تكون من الفائزين يوم توزع الجوائز يوم العيد.

أخي..

إن لذة الكسل ساعة وتزول وتعقبها حسرة لا تزول ونصب الطاعة ساعة وتزول وتليها فرحة لا تزول..

اسأل صاحب الطاعة بعد انقضائها هل بقى من تعبها شيء؟ واسأل نفسك هل بقى من لذة الكسل لك شيء؟!

** انفض غبار الكسل وبدد ظلام الخمول وضع نصب عينيك أن أمامك في رمضان هدفا عظيما هو مغفرة الله ورضوانه والفوز بالجنة.. فلا وقت للكسل والتفريط.

** أنصحك بقراءة كتاب «الحرب على الكسل د. خالد أبو شادي» فهو كتاب قيم.. فارجع إليه كلما فترت همتك وبردت عزيمتك.

«أشد ما فـي الكسل أنه يجعل العمـل الواحد كأنه أعمال كثيرة».

[مصطفى الرافعي].

الوقت هو الحيـــاة

قبل أن يمضي قطار العمر:

كان أحد الصالحين إذا غربت الشمس من كل يوم جلس عند باب داره يبكي، فيسأل عن سبب بكائه فيقول: قطعت يومًا من حياتي إلى الدار الآخرة ولا أدري أهي خطوات إلى الجنة أم أنها خطوات إلى النار.

إن قطار الزمن يمضي بسرعته الفائقة وحركته الدائمة لا يتوقف عند أحد ولا يحابي أحد، ولكن إذا نحن غفلنا عن أيامنا الخالية وأعمارنا الماضية ونسينا ما عملنا فالله لا يغفل ولا ينسى سبحانه، الأنفاس معدودة والأعمال مرصودة..

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة ٦].

كم مضى اليوم تلو اليوم، والأسبوع بعد الأسبوع، والشهر خلف الشهر، والسنة في إثر السنة، وكثير من الناس سادر في غفلته، مفرط في شروده، مغرق في جحوده، لا عقل يتدبر، ولا فكر يتأمل، ولا نفس تردع، ولا هوى يمنع، لم يعتبر بمرور الأيام، ولم يتعظ بتعاقب الشهور والأعوام، ما استغفر ولا تاب، ولا اتسم بسمات أولي الألباب، غافل عن الاعتبار مخالف لأولي الأبصار.

أخي..

ما العمر إلا كتاب دفتاه: الولادة والموت، وصفحاته الأيام، وبانقضاء كل يوم تطوي صفحة من صفحاته يُدون فيها أحد أمرين لا ثالث لهما: خير وصلاح تُثاب عليه، أو فسوق وعصيان تجازى عليه، كل صفحه تُطوى تدنيك من الخاتمة، حتى إذا وصلتها كان الرزق قد اكتمل والعمر قد نفد وأزف الرحيل.

وما هذه الأيام إلا مراحـــل ... يحث بها داع إلى الموت قاصد
وأعجب شيء لو تأملت أنها ... منازل تطوى والمسافر قاعـد

قيمة الوقت بما يملؤه:

تخيل معي رجلاً عاش أكثر من خمسين سنة في معصية الله، غارقًا في المحرمات، مضيعًا للصلوات، هاتكًا للحرمات، تاركًا للخيرات، ثم جاءه في يوم من الأيام من يذكره ويعظه.. ففتح الله قلب هذا العاصي وتاب إلى الله توبةً صادقةً نصوحًا، ثم بعد شهر واحد توفاه الله، فأبدل الله سيئاته حسنات وتاب عليه.

أخي.. قل لي بربك..

كم قيمة ذلك اليوم الذي تاب فيه ورجع إلى ربه؟!

هل يوجد في حياته كلها يوم يعادل هذا اليوم؟

إنه يوم لا يقدر بثمن.. يوم كان سببا في نجاته من النار ودخوله الجنة بإذن الله..

- هل تخيّلت نفسك ذلك الرجل؟
- هل أدركت أن العمر الحقيقي للإنسان ليس هو السنين التي يقضيها من يوم الولادة إلى يوم الوفاة.. إنما عمره الحقيقي بقدر ما كتب له في رصيده عند الله من عمل الصالحات وفعل الخيرات.
- هل تشعر مثلما أشعر به الآن من ضرورة العودة إلى الله واغتنام الأوقات والمبادرة بالخيرات والتوبة من المعاصي والسيئات قبل أن يعاجلك ملك الموت فتصبح في عداد الأموات؟

رمضان واكتشاف قيمة الوقت:

ورمضان فرصة عظيمة من أجل إعادة اكتشاف قيمة الوقت.. فميادين الخيرات كثيرة وساحات الطاعات متنوعة وبساتين القربات متعددة.. فالمؤمن في رمضان كالتاجر ليلة العيد كل منهما يخاف أن ينقضي الزمن قبل أن يروج بضاعته، فالموسم قائم، والسوق رائجة وفرق بين من يجمع لدنيا فانية وبين من

يجمع لجنة غالية.

فلا توجد فرصة في رمضان لإضاعة الأوقات فيما لاينفع ولايفيد.. فالنفوس متأهبة لاغتنام الخيرات والأرواح مشتاقة للتحرر من رق الشهوات والقلوب مشغولة بتدارك الهفوات والعيون بسكب العبرات.. واللسان محبوس في سجن الصمت عن الهلكات.. والأقدام مقيدة بقيود المحاسبات.. والهدف الرئيس هو اغتنام هذه النفحات والارتقاء في الدرجات.

فيا من لم يتصف بهذه الصفات..

يا من أوقاته كلها في اللهو والتسلية والمحرمات..

احذر أن يكون رمضان ميدانا للأفلام الماجنة والمسلسلات والتنقل بين القنوات والفوازير والمسابقات؟..

أما قرع سمعك قول ربك:

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؟ [الجاثية٢١].

أخي..

وقتك هو ثروتك.. هو رأس مالك.. هو حياتك.. لا تقتل وقتك فتقتل نفسك.. إن كل دقة من دقات قلبك وكل لمحة من لمحات بصرك وكل خفقة من خفقات نفسك تهتف بك: هل ضيعتني أم في شيء من الخير اغتنمتني؟

لا تبق فارغًا أبدًا، فإذا فرغت من عمل فابدأ في عمل آخر، إذا فرغت من عمل لدينك فاشتغل بعمل دنياك، وإذا فرغت من عمل دنياك فاشتغل بعمل لدينك، وإذا فرغت من حاجة بدنك فخذ غذاءً لقلبك أو متعة لروحك، وإذا فرغت من شأن نفسك فأقبل على شأن أسرتك، ثم على شأن مجتمعك وأمتك، وهكذا لا فراغ أبدًا إلا استجمامًا وتأهبا للعمل.

** رتّب أهدافك في صورة أولويّات، ثم قسّم أولوياتك في برنامج عملك اليومي إلى قوائم: أعمال «يجب القيام بها «ضرورية وملحة»، وأعمال «ينبغي القيام بها ضرورية وغير ملحة» ثم خصص الوقت حسب هذه الأولويات وعليه حدد مواعيد للإنجاز.

** إياك والفراغ فهو مفسدة للعقل ومهلكة للنفس ومصيدة للشيطان.. فنفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

من أمضى يومـــه في غير حق قضاه، أو فرضٍ أدّاه، أو مجد شيده، أو حمد حصّله أو خير أسسه، أوعلم اقتبسه، فقد عق يومه وظلم نفسه.

وحدة الأمة سبيل قوتها وعزتها

الفرد المسلم جزء من الأمة:

«تقوم شرائع الإسلام وآدابه على اعتبار الفرد جزءًا لا ينفصل عن كيان الأمَّة وعضوًا موصولا بجسمها لا ينفك عنها.. فهو طوعا أو كرها يأخذ نصيبه مما يتوزع على الجسم كله من غذاء ونمو وشعور.. وقد جاء الخطاب الإلهي مقرًا هذا الوضع فلم يتجه للفرد وحده بالأمر والنهي.. إنما تناول الجماعة كلها بالتأديب والإرشاد.. ثم من الدرس الذي يُلقي على الجميع يستمع الفرد وينتصح، إن ائتلاف القلوب والمشاعر، واتِّحاد الغايات والمناهج من أوضح تعاليم الإسلام، وألزم خِلال المسلمين المخلصين، ولا ريب أنَّ توحيد الصفوف واجتماع الكلمة هما الدِّعامة الوطيدة لبقاء الأُمَّة، ودوام دولتها، ونجاح رسالتها، ولئن كانت كلمة التوحيد باب الإسلام، فإن توحيد الكلمة سرُّ البقاء فيه، والإبقاء عليه، والضمان الأوَّل للقاء الله بوجه مشرق وصفحة نقيَّة»(١).

فالإسلام في نظرته للحياة يدعو إلى الترابط والاجتماع والتآلف والوحدة وهو دين واحد جاء للبشرية وفق نظام واحد..

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء ٩٢]..

كما دعا المسلمين إلى الوحدة والترابط..

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران١٠٣]..

وحذرهم من الخلاف والشقاق..

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران١٠٥].

(١) خلق المسلم ص١٦٤ الشيخ محمد الغزالي.

92 العبادات وتعميق مفهوم الوحدة:

تمثل العبادات في الإسلام ركيزة أساسية ومهمة في تعميق روح الوحدة الإسلامية وتثبيت قواعدها ولم شملها عبر تاريخها الناصع المجيد فمهما حصل من نزاع وخلاف وفرقة واختلاف وكيد من أعداء الأمة لتفريق شملها وتمزيق كيانها، فإن الائتلاف والتوحد ثابت في قلوب المسلمين وهو ألزم صفاتهم وأقوى أسباب رسوخهم وثباتهم.

انظر إلى الصلاة القائمة، وقد نهض القائمون بها كبيرًا وصغيرًا، غنيًا وفقيرًا، مأمورًا وأميرًا، ثم انظر إليهم وقد تخلل بعضهم بعضًا وامتزج بعضهم ببعض ثم استقبلوا جميعا قبلة واحدة، واتبعوا كلهم قيادة واحدة، وانتظموا صفوفا كأنها البنيان المرصوص ثم تطابقت حركاتهم وسكناتهم، وأقوالهم وإشاراتهم، كأن أجسامهم قد تحولت جسمًا واحدًا وكأن أسماعهم وأبصارهم وألسنتهم صارت سمعًا وبصرًا ولسانًا واحدًا.

يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

«المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضًا»[1].

فالبنيان المتماسك القوي هو الذي تكون أجزاؤه قوية سليمة، أما إذا كانت الأجزاء تالفة تنخر فيها الأكلة، فهنا يدب لها الفساد، ولا تلبث أن تنهار؛ لأنها معرضة دائمًا لهبوب الرياح... وهكذا صرح الجماعة المسلمة ما دام الترابط بينهم والتماسك شعارهم، فستكون لهم العزة والغلبة، وأما إذا تفرقوا وتخاذلوا، وأكل بعضهم بعضًا، فالويل لهم من أنفسهم وأعدائهم

﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال ٤٦]..

إن نظرة إلى أحوال الأمة الإسلامية اليوم وهي تعاني الضعف والتفرق

(١) متفق عليه.

والشتات كفيل لئن تدرك السبب الأكبر حول ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ إلى «غثاء كغثاء السيل».

رمضان ووحدة الأمة:

عندما تشرق شمس رمضان ويطل بأساريره البهية على الأمة الإسلامية يذكر أفرادها بتلك الوحدة ودعائمها، ويقوي رابط الأخوة والاجتماع في نفوسها.. فالمجتمع الإسلامي في رمضان، تتجلى فيه الوحدة بأبرز معانيها، والنظام بأروع مظاهره.. المسلمون يجوعون فيه جوعًا واحدًا، ويعطشون عطشًا واحدًا، ثم يشبعون شبعًا واحدًا ويرتوون ريًا واحدًا، لا يمتاز أحد على أحد، فيشعر بالجوع الأغنياء والفقراء والأثرياء والبسطاء.

يقول د. محمد عبد الله دراز رحمه الله:

«إن فريضة الصوم لا يراد منها أن تكون مجرد رياضة روحية تصل بين العبد وربه فحسب، ولا مجرد تجربة إنسانية من التعاطف والتراحم في حالات فردية متفرقة ولكنه يراد أن تكون في الوقت نفسه حلقة اتصال بين الأمة كلها وأن تكون رباطًا من الرحمة بين المؤمنين، تصهرهم جميعا في قالب واحد، وفي جسد واحد.. فإذا رفعت راية الهلال في سماء رمضان، رأيت المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وقد وقف كل منهم في مكانه على قدم الاستعداد، لبدء حركة التدريب على الطاعة والنظام، وإذا هم كلهم قد أخذوا يرهفون أسماعهم، ويفتحون عيونهم ترقبا لإشارة القائد الأعلى إليهم بالإقدام أوبالإحجام.. وما هو إلا أن تمضي الليلة الأولى من الشهر، وإذا هم طوال الشهر يتلقون كل يوم عن هذه القيادة العليا توجيهين متعاقبين، كلما طلع الفجر سمعوا أمرًا بالإحجام عن كل مشتهياتهم،وكلما غربت الشمس تلقوا إذنًا بالإقبال على الحلال من تلك المشتهيات.. فتراهم في لحظة واحدة قد تحركوا طوع الأمر حركة واحدة إيجابية أو سلبية، وتراهم قد ارتسمت عليهم من هذه الحركة صورة لازبة«ثابتة»لا تفارقهم

نهارهم أو ليلهم فلا ترى منهم في النهار طاعمًا ولا راويًا، ولا ترى منهم في الليل ممسكًا ولا طاويًا، بل تراهم وقد انطبعت على نظام حياتهم مسحة جديدة من هذا النظام في عملهم وراحتهم ونومهم ويقظتهم وسائر شئونهم وتصرفاتهم... حتى إذا رفعت راية الهلال في سماء شوال كان ذلك أمرًا بتسريح هذه المعسكرات المنشورة في كل مكان، فعاد كل جندي إلى سيرته الأولى مدربًا مجربًا».

** احرص على متابعة أخبار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ولا تنس الدعاء لإخوانك المستضعفين أن ينصرهم الله عزوجل ويثبتهم.

«لا يتم عمل والتعاضد -التعاون والتناصر- مفقود، ولا يكون فشل والاتحاد موجود».

[أبوحاتم السجستاني].

فن البـذل والعطاء

الإنسان وحب التملك:

«إن حب التملك أحد الدوافع النفسية عند الإنسان، وهو في مستواه المعتدل دافع نافع في الحياة مفيد في عمران الأرض وتنمية أرزاقها واستخراج خبراتها، فإذا تجاوز حد الاعتدال فدخل في دائرة الأنانية المفرطة، تولد عنه البخل والشح وحب الاستئثار بكل شيء والتسلط على كل شيء، فأمسى صاحبه ضنينًا لا يحب العطاء ويصعب عليه التنازل عن أي شيء لغيره، ولو لم يكن بحاجة هو إليه.. وحين يقف عند حد الاعتدال ويكون مقرونًا بالعقل الرشيد والإيمان الراسخ، فإن صاحبه ينفتح حينئذ على خلق الله بالمحبة والمودة وإرادة الخير والرغبة بالمشاركة، فيندفع إلى عطاء ذي الحاجة بنفس هينة لينة سمحة ويشعر بلذة في العطاء أشد من لذة البخيل بامتلاك المال الكثير وتحصيل الربح الوفير»[1].

رمضان وحب العطاء:

والصوم فيه شعور بالحرمان من المتع، وإحساس بالألم من الجوع، وعندما يجتمع مع ذلك شعور بالوحدة والترابط مع جميع المسلمين الصائمين فذلك يبعث التفكر في أحوالهم والتأثر بمعاناتهم التي تمر بهم في سائر الأيام، فذاك فقير لا يجد قوت يومه، وذاك يتيم لا يجد من يقوم بأمره، وذلك مريض يعاني، وتلك معاقة تقاسي، وكل هؤلاء يذكرنا بهم الصيام الذي نترك فيه الطعام والشراب ونتخلى عن الشهوات والملذات فإذا بنا نلحظ بوضوح كم يكون في الناس من أثر الصوم من رحمة غامرة ورقة ظاهرة فالطعام يبذل، والمال ينفق، والتراحم يتدفق، والتكافل يتحقق، وتتجلى صور من الرحمة مبعثها المتدفق هذه الشعيرة العظيمة

(١) الأخلاق الإسلامية ج٢ ص ٣٨١ - الشيخ عبد الرحمن الميداني.

والفريضة الجليلة.. فالصائم إذا أحس من نفسه ألم الجوع وحرارة العطش ومرارة الحرمان من لذائذ الحياة وطيباتها دفعه ذلك دفعا إلى العطف والبذل والعطاء.. وشتان بين من يؤمر بالإعطاء وقد ذاق ألم الجوع ومرارة الحاجة وبين من يؤمر ولم يجع يوما ولم يذق ألم الحرمان.

روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عباس ﷺ قال:

«**كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة**»[1].

مجالات البذل والعطاء:

١- **عطاء المال بكل أشكاله وصوره:** ويشمل كل مايمتلكه الإنسان وينتفع به من مأكول ومشروب وملبوس ومركوب إلى غير ذلك من أشياء يصعب حصرها.

٢- **عطاء العلم والمعرفة:** ويشمل نشر العلم النافع وتعليم القرآن وإرشاد الجاهل وتنبيه الغافل.

٣- **عطاء النصيحة:** ويشمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤- **عطاء الجسد ويشمل:** السعي في مصالح الناس - مساعدة العاجز - إماطة الأذي عن الطريق - إعانة المحتاج.

صور مرفوضة.. فاجتنبها:

- **إياك والمن:**

قال الله عزوجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي

(١) متفق عليه.

﴿يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة ٢٦٤].

إن الله عزوجل لا يعنيه منك أن تقضي حاجة المحتاج بقدر ما يعنيه منك ألا تجرح شعوره بعطيتك وألا تمتهن كرامته بقولك أو فعلك أو بإشارتك.. والمنّ هو إزعاج المحسن إليه من المحسن بما يذكر بمناسبة أوبغير مناسبة من إحسانه إليه وفضله عليه يريد بذلك استصغاره وامتهانه على حين ينبغى لنفسه تفاخرًا وتعاليًا.. والمن عنصر كريه لئيم وشعور خسيس.. فالنفس البشرية لا تمن بما أعطت إلا رغبة في الاستعلاء الكاذب أورغبة في إذلال الآخذ، أورغبة في لفت أنظار الناس، فالتوجه إذن للناس لا لله بالعطاء.. وما أراد الإسلام بالإنفاق مجرد سد الخلة وملء البطن وتلافي الحاجة.. كلا! إنما أراده تهذيبًا وتزكية وتطهيرًا لنفس المعطي واستجاشة لمشاعره الإنسانية وارتباطه بأخيه الفقير في الله وفي الإنسانية.

- **احذر الشح:**

الشح يحمل على البخل ومنع الحقوق، ويدعو إلى الضرر والقطيعة والعقوق، أمر الشح أهله بالقطيعة فقطعوا، ودعاهم إلى منع الحقوق الواجبة فامتثلوا، وأغراهم بالمعاملات السيئة من البخس والغش والربا ففعلوا، فهو يدعو إلى كل خلق رذيل، وينهى عن كل خلق جميل.. فالبخيل إذا استولى حب المال على قلبه أصبح مرهف الإحساس به إلى حد أنه يعده جزءًا متممًا لجسمه وروحه.. فإذا دعوته للإنفاق منه أحس كأن روحه بدأت تستل من بدنه.. وينفخ الشيطان في روعه ليزين له فاحشة البخل..

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران ١٨٠].

فيا بخيلاً إنما يبخل عن نفسه.. يا مطيعًا شيطانه يدعوه إلى حرمانه ونكسه.. يا

مغترًا بأمله ناسيًا أُفول شمسه.. يا جائلاً في ميدان هواه ناسيًا ضيق رَمسِه «قبره»، لو قدّم خيرًا نفعه في حبسه..

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر ٩]

** صِل رحمك، وزر أقاربك، واعف عمن أخطأ، وتجاوز عمن هفا، وتقرب من جيرانك، وكرر اللقاء بإخوانك، وخص بمزيد من الود والحب والوصل أهلك وزوجك وأبناءك.

** ادع إخوانك وأقاربك إلى قراءة هذا الكتاب لينتفعوا بمواعظه ويستفيدوا من إرشاداته ولا تكن أنانيًا.

«جميل أن تعطي مَن يسألك ما هو بحاجة إليه، ولكن الأجمل من ذلك أن تعطي مَن لا يسألك وأنت تعرف حاجته».

[جبران خليل جبران].

ما أعظم عفوك يارب

ورحمتي وسعت كل شيء:

إن من لطف الله جل وعلا بعباده، ورحمته بخلقه، أنه يعاملهم بعفوه، ويقابل جهلهم بحلمه وذنوبهم بمغفرته، وتماديهم بإمهاله، ومجاهرتهم بستره، وإعراضهم بلطفه، وجحودهم بإنعامه، وبخلهم بكرمه، وكفرانهم بإحسانه..

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾

[الشوري ٢٥].

إن الله لا يتخلّى أبدًا عن عباده، فمهما أعرض العبدُ، ومهما كفر واستكبر، ومهما عصى وأخطأ لا يتركُهُ ربُّهُ، بل يسوق له من الشدائد تارةً، ومن البرِّ والإحسان تارةً، مما يكون مذكِّرًا له فضلَ ربّه، وداعيًا يدعوه إلى الرجوع والعودة إلى كنف سيِّده وخالقه ومولاه، ليتمتَّع بفضلهِ وليكون أهلاً لتذوُّق عالي برِّه، وكمال إحسانه.

يبارزه العبد بالذنوب، ويجاهره بالمعاصي، ثم يناديه العفو الغفور نداء لطيفًا رفيقًا رحيمًا:

«يا عبدي: وعزتي وجلالي لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي»[1].

ويقول تعالى في الحديث القدسي:

«يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم»[2].

(١) رواه الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٤٣٣٨.
(٢) أخرجه مسلم ٢٥٧٧.

إشراقات العفو:

إن التأمل في اسم الله «العفو» يبعث في النفس المؤمنة الشعور بالروح والريحان والسرور والحبور والطمأنينة والحيوية والأمان، وينزع من القلوب الخائفة ما اعتراها من وجل وخجل، بسبب الذنوب التي يرتكبها المرء بدافع من شيطانه وهواه... فهو اسم يجمع العبد على ربه ويؤنسه برحمته ويفتح له أبوابًا من الأمل المصحوب بالعمل، ويسمو به نحو عالم الروح، بعيدًا بعيدًا عن عالم الجسد المخلوق من طين ويبعد عنه نزغات الهوى، ونزوات النفس الأمارة بالسوء، ويرفع الإصر الذي أثقل به كاهله، واليأس الذي يعوق مسيرته إلى خالقه ومولاه.

معني اسم الله العفو:

العفو.. هو الذي يتجاوز عن الزلات بفضله وكرمه فلا يعاقب عليها ولا يعاتب صاحبها مبالغة في إكرامه له وعطفه عليه ولا يذكره بها حتى لا يحرجه ويخجله ويمحو آثارها محوًا تامًا وينسيه إياها وينسي كذلك الحفظة حتى لا يشهدون عليه وينسي جوارحه والأرض التي عصاه عليها وهذا هو العفو في أسمى صوره وأرقى معانيه.

ليلة القدر.. العفو الشامل:

في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:

«من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه»[1].

وقالت عائشة ﷺ للنبي ﷺ: «**أرأيت إن وافقت ليلة القدر ما أقول؟** قال:

«قولي: اللهم إنك عفوّ تحب العفو فاعف عنّي»[2].

(١) متفق عليه.
(٢) رواه الترمذي.

وليلة القدر هي التي أنزل فيها القرآن فهي ليلة الهدى.. ليلة الإشراق.. ليلة الهداية..

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر ١-٣]..

نعم هي ليلة ربانية ما أكرمها، فكرمها من كرم خالقها ومُكرمها.. هي سحابة هطّالة بالخير والبركات.. ما أزكى عبيرها.. ويا روعة نسيمها العليل.. إنها واحة غنّاء وظلالاً وارفة جئناها بعدما أنهكتنا ذنوبنا.

في ليلة القدر.. تسلو الأرواح وتطرب القلوب وتقر العيون.

في ليلة القدر.. تسكب العبرات وتتطاير السيئات وتتنزل الرحمات.

في ليلة القدر.. يتنقل المؤمن في حدائق السحر بين سجود وركوع.. ودعاء وخضوع.. وبكاء ودموع.. وندم وخشوع..

ليلة القدر..

فرحة فاغتنمها.. منحة فاجتلبها.. الزم بساط التهجد في أوقات السحر.. تذلل لربك ففي التذلل له عزة ومنعة.. تخشع ففي الخشوع بين يديه كل الفوز والرفعة، ابك على ما فات تسعد فيما هو آت.. اعقد العزم على العمل الخالص تفز بأرفع الدرجات وقدم ليلتها ما يكفل لك أبدع الحسنات.

يا عشاق الجنة هذا زمانها.. **فأين المشمرين؟**

يا عشاق المغفرة هذا أوانها.. **فأين المستغفرين؟**

ما أحلى مناجاة القائمين.. ما أعطر أنفاس الذاكرين.. ما أصبح وجوه المتهجدين ما أنفع بكاء المحزونين.

آه على من كانت النار مثواه.. آه على من عصى مولاه..

آه على من باع آخرته بدنياه.. آه على من استهواه غيه فاستعبده هواه.. آه على

المطرود في هذا الشهر ثم أواه.. آه على من جفاه مولاه..

آه على من عصى بغفلته وما تاب من خطاياه.. آه على من يفوته في مثل هذا الشهر عفو مولاه.

** توجه إلى الله في هذه الليلة بالتوبة الخالصة مع التضرع والافتقار والتذلل والانكسار عسي أن يجعلك ربك مع الأبرار.

** اجعل رمضان -وخاصة ليلة القدر- فرصةً للعفو والصفح عن كل من أساء إليك بكلمة أوغيبة أو شتم أوأي نوع من أنواع الأذى..

﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور٢٢].

قال يحي بن معاذ:

لو لم يكن العفو أحب الأشياء إليه، لم يبتلِ بالذنب أكرم الناس عليه.

تذكر إنقضاء العمر

أوشك رمضان على الرحيل:

حين يؤذن رمضان بالرحيل لا نملك إلا أن نقول: يا سبحان الله.. ما أسرع ما يطوى العمر وما أعجل ما تنقضي الأيام والليالي.. كأنها أوراق الخريف عصفت بها ريح القدر.. وهل الحياة كلها إلا لحظات معدودة وأنفاس معدودة تغر الناظرين إليها في ساعة إقبالها فإذا أدبرت فإنما هي حلم من الأحلام وإنما البقاء والدوام لذي الجلال والإكرام.

شهر رمضان!

أين هو شهر رمضان؟

ألم يكن من لحظات بين أيدينا؟

ألم يكن ملء أسماعنا وأبصارنا؟

ألم يكن هو حديث منابرنا وحياة مساجدنا؟

فأين هو الآن؟

إن في ختام هذا الشهر لعبرة للمعتبرين، فكما ختم الشهر هذا اليوم أوغدا فسيختم العمر اليوم أو غدا، وكما التفتنا إلى ما مر من أيامه نفرح بطاعاتنا، ونستغفر الله من سيئاتنا.. فجدير بنا أن نتذكر بأن هذا هو ما يجب علينا أن نقوم به في سائر حياتنا، فنحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب، ونزن أعمالنا قبل أن توزن علينا.

فيا عجبًا لمن جاءه العامُ تلوَ العام، ومرت به السنةَ بعد السنة تذكره بالحياة الآخرة وتدعوه إلى النعمة الدائمة، وهو في غفلته وشروده، وبعده وجحوده.

فيا من قضيتَ العمرَ وراء شهواتِك، ألم يأن لك أن تنظرِ في أمرك؟! ويا من

انصرمت أيامُه في الدنيا وملذاتها ألم تبكِ على عمرك؟!

يا من أقبلتَ على الدنيا بحلالها وحرامها، وفُتنتَ في غرامها، ألم تفكر في النهاية وتتأمل في النتيجة؟!.

يامن فتنت بالدنيا.. ألم تعتبر بمن سبقك بها؟ هل خُلدوا فيها؟ هل دامت لهم؟ هل راحوا منها بغير الأكفان؟

الموت قادم لا محالة:

إنه ما من إنسان له بقاء على هذه الأرض، أو خلود فيها، أو استمرار في نعيمها، كائنًا من كان.. فمهما عذب العيش، وحسنت الحياة، ورقصت الآمال، وارتفعت القصور، وتكاثرت الأموال، وامتد السلطان واتسع الملك، فإن الموت بالمرصاد لكل أحد لا يمنعه ملِكٌ بملكه ولا غنيٌّ بماله، ولا شجاعٌ بسطوته، ولا عظيم بجاهه، ولا يحتمي منه بحصون، ولا يحترس منه بجنود، ولا يوجد عنه ملتجأ..

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء ٧٨]

الموت..

لفظ مخيف، وعنوان مزعج، ونبأ مفزع، وخبر مذهل.. ينقل الناس من القصور إلى القبور، ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحود، ومن الأنس بالزوجات والأبناء والأخوان إلى مقاساة الهوام والديدان، ومن التمتع بالطعام والشراب إلى التمرغ بالتراب ومن أنس العشرة إلى وحشة الوحدة.. لا يرجئ الجائع حتى يشبع، ولا العطشان حتى يشرب ولا المسافر حتى يعود إلى أهله ولا النائم حتى يفيق ولا الصغير حتى يكبر

﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف ٣٤].

هذا ما أعده الموت لكم.. فماذا أعددتم له؟

هل استعددت له بسجدات في الظلمات.. وبكاء في الخلوات.. وندم وألم على

اقتراف السيئات.. وإخلاص في الطاعات وخشوع في الصلوات؟..

أم استعددت له بالنوم على فراش الغفلات.. وإدمان للهوى واغتراف من موائد الشهوات وضياع الأوقات في مشاهدة القنوات والتكاثر من الملهيات والمسليات والمغريات وانتهاك الحرمات؟

عجبًا لنا..

«نودِّعُ الأموات.. والقلوب أموات!

نودِّع الأموات.. ولا عبرة ولا عظَات!

نودِّعُ الأموات.. ولا سؤال: أين القرار في النِّيران أو الجنَّات؟!

نودِّعُ الأموات.. وها نحن قبل المِمات أموات!»[1].

أخي.. قل لي بربك..

ما قيمة أيِّ متعة في الدنيا ما دامتْ مهدَّدةً بخطر الموت، الذي يأخذ صاحبَ الآمال من آماله، وصاحبَ الأمنيات من أمنياته، وصاحبَ النجاحات من نجاحاته، ويأخذ العروس ليلة زفافها من أحضان زوجها، كل ذلك بلا استئذان ولا سابق إنذار؟! فيا أيها الغافلون.. عجبًا لكم.. دعتكم الدنيا بدواعيها فأجبتم مسرعين لصوت داعيها.. فإلى حطامها الفاني تتسابقون وبزخرفها مغترون.. وبشهواتها منشغلون.. تزيد سيئاتكم فتفرحون وتعظم ذنوبكم فلا تحزنون.. وتنقضي آجالكم وأنتم لا تشعرون.. فمتى تنتبهوا أيها الغافلون؟.. أفيقوا من سكرتكم قبل أن يباغتكم الموت وأنتم لاهون.. ثم بين يدي الله يوم القيامة موقوفون

﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يس ٥٤].

(١) من كتيب ماذا أعددت للموت ؟ - أزهري محمود.

** اجعل لنفسك يوما في الأسبوع على الأقل تجلس فيه مع أقاربك وإخوانك تتذكروا الموت وماذا أعد كل واحد منكم له من طاعات وعبادات.

** احرص على زيارة القبور مرة كل شهر فهي ترقق القلب وتزكي النفس وتقصّر الأمل وتُظهر لك الدنيا على حقيقتها.

قال رجل لمحمد بن واسع:

كيف أصبحت؟ فقال: «ما ظنك برجل يرتحل كل يوم مرحلة إلى الآخرة».

الخاتمة

وبقيت كلمة:

أخي القارئ..

لم يكن الهدف من هذا الكتاب استثمار شهر رمضان كغنيمة باردة فحسب، تسارع فيه إلى الطاعات وتمارس فيه ألوان القربات وصنوف الخيرات وتجاهد الشهوات والملذات ثم تعود بعده كما كنت إلى الغفلة والسبات.

إنما الهدف الرئيس هو إعادة الحياة إلى قلبك وشحن بطارية إيمانك واشعال جذوة الهمم والبعد عن الفتور والكسل.. ليكون شهر رمضان بداية لانطلاق الروح من عقالها وتحررها من أسر أهوائها لتحلق في الملأ الأعلي فتصفو أيامك وتسعد حياتك.. لذا أوصيك قبل أن تنتهي من قراءة هذا الكتاب أن تتبع النصائح التالية للاستفادة مما قرأت بعد انقضاء شهر رمضان:

١ - الإخلاص:

جدد نيتك واعقد العزم على أن يكون هدفك بعد رمضان هو الإخلاص لله في كل الأقوال والأفعال.. وأن يكون رضاه عزوجل هو أسمي الطموحات والآمال.

٢ - التدرج:

اعلم أن إصلاح النفس وتقويم اعوجاجها لا تتم دفعة واحدة فإن ذلك صعب وشاق فضلا عن كونه مستحيلاً.. فعليك بالتدرج في الطاعات ومجاهدة النفس حتى تصل إلى الاستقامة.

٣ - الاعتدال:

وهو سلوك الطريق الوسط في إصلاح النفس وعدم الميل نحو الإفراط

والتفريط، وهذا ما أوصاك به الإمام الحسن البصري رحمه الله:

«ليأخذ أحدكم من العمل ما يطيق، فإنه لا يدري ما قدر أجله، وإن العبد إذا ركب بنفسه العنف، وكلَّف نفسه ما لا يطيق، أوشك أن يسيِّب ذلك كله، حتى لعله لا يقيم الفريضة، وإذا ركب بنفسه التيسير والتخفيف، وكلَّف نفسه ما تطيق كان أكيس، وأمنعها من العدو».

٤- الترويض:

اعلم أن صلاح النفس ليس له وقت معلوم محدود.. بل هو متواصل ما عاش الإنسان والنفس كالبدن معرضة للأمراض في أي وقت من العمر.. لذا كان تعهدها بالتربية والإصلاح ملازما لها ولا تحصل استقامتها إلا بالترويض والمتابعة لحملها على فعل الخير وترك الشر..

و**«إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، من يتحر الخير يُعْطَهُ، ومن يتوقَّ الشرَّ يوقهُ»**[1].

٥- الصبر:

إن أصعب ما في النفس ميلها نحو الشهوات واللذات واتباع الهوي والاغترار بالحياة الدنيا فلا يسلم من ذلك إنسان.. لذا وجب الصبر والمثابرة.. والحذر من اليأس والقنوط إذا وقعت في شباك الهوي أو عدت إلى المعاصي والذنوب.. وضع نصب عينيك وصية ابن عطاء الله «من استغرب أن ينقذه الله من شهوته أو يخرجه من وجود غفلته فقد استعجز القدرة الإلهية وكان الله على كل شيء مقتدرًا».

دعاء ورجاء:

يا ربنا لقد تعاظمت منا المعاصي والذنوب، وتراكمت علينا النقائص

(١) رواه الطبراني وغيره وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة.

والعيوب، وتوالت على قلوبنا الغفلات فأمرضتها، وقيدت نفوسنا الشهوات فأهلكتها ونحن يا مولانا في عفوك طامعون، ولخيرك وكرمك وجودك مؤملون، فنحن الفقراء إليك، الأسرى بين يديك.. إن قطَعتنا فمن يصلنا؟ وإن أعرضت عنا فمن يقبلنا ويتقبلنا؟ وإن منعتنا فمن يُعطينا؟.. وإن لم تغفر لنا وترحمنا فمن الذي يرحمنا ويكفينا؟.. ليس لنا رب سواك فندعوه، ولا لنا مولي غيرك فنُؤمله ونرجوه، ولا لنا ملجأ ولا منجا ولا ملاذ نلتجئ إليه وندعوه، إليك نفزع في مُهماتنا ومُلماتنا، وإليك نضرع في قضاء حاجاتنا.

لم تزل آلاؤك تتكررعلينا على الدوام، ولازالت ألطافك تدفع عنا البلايا والأسقام.

فكم قصدناك في حاجة فقضيتها؟

وكم فزعنا إليك في شدة فكشفتها؟

وكم لجأنا إليك في مُهمة فسهلتها ويسرتها؟

يا من أعطانا خير ما في خزائنه، الإيمان به قبل السؤال لا تمنعنا عفوك مع السؤال.

اللهم فارحم خضوعنا، واقبل خشوعنا، واجبر قلوبنا، واغفر ذنوبنا، وأنِلْنا يا مولانا مطلوبنا.

الفقير إلى عفو ربه

هاني محمود درغام

يسعدني تلقي إقتراحاتكم وملاحظاتكم

Hanydorgham@yahoo.com

www.facebook.com /dr.hanydorgham

أهم المراجع

١- نسيم الحجاز من مسجد ابن باز - د. ناصر الزهراني

٢- مجموع خطب الشيخ عبد الرحمن السعدي - د. وليد العلي

٣- الصوم تربية وجهاد - د. محمد عبد الله دراز، تحقيق الشيخ أحمد فضلية

٤- مقالات الإسلاميين في شهر رمضان - د. محمد موسي الشريف

٥- الدرر البهية في المواعظ الجوزية - محمد شومان الرملي

٦- العبادة في الإسلام - د. يوسف القرضاوي

٧- الوقت هو الحياة - د. يوسف القرضاوي

٨- إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة - د. محمد أمين شحادة

٩- عقيدة المسلم - الشيخ محمد الغزالي

١٠- الجانب العاطفي من الإسلام - الشيخ محمد الغزالي

١١- زاد على الطريق - مصطفي مشهور

١٢- أنوارك يا رمضان - د. خالد الحليبي

١٣- وقع الأسل على أرباب الكسل - د. ناصر الزهراني

١٤- أسرار الصيام وحكمه - د.عبد الكريم العمري

١٥- في ظلال القرآن - سيد قطب

١٦- زاد المسلم للدين والحياة - د. محمد عبد الله دراز، تحقيق الشيخ أحمد فضلية

١٧- حدائق ذات بهجة - د. عائض القرني

١٨- مواقع إلكترونية:

صيد الفوائد - ملتقى الخطباء- أدباء الشام- الكتيبات الإسلامية.

صدر للمؤلف

١ - متاع الغرور:

كتاب يحدثك عن حقيقة الحياة الدنيا في ميزان الله عزوجل ويحذرك من العواقب الوخيمة المترتبة على الانشغال بشهواتها والركون إليها والإغترار بزينتها ويبين لك قيمة الزهد فيها واتخاذها قنطرة للنجاة في الآخرة.

٢ - رمضان.. واهًا لريح الجنة:

كُتيب يجول بك فى رحاب رمضان.. يبين فضله وأنواره، ويكشف روحانياته وأسراره، ويحفز لاغتنام أوقاته ويدعوك إلى تنسم نفحات الجنان عبر هذا الشهر المبارك رافعا شعار الصحابي الجليل أنس بن النضر الذي هتف به في غزوة أحد «واهًا لريح الجنة».

٣ - قلب موصول بالله:

كتاب يُذكرك أنه لا حياة للقلب ولا طمأنينة ولا نعيم إلا في تقوية الصله بالله عز وجل وإخلاص العبوديه له.. لن تنعم بجنة الدنيا إلا إذا امتلأ القلب بجلاله وأنس بقربه وفرح بطاعته واشتاق إلى لقائه.. وفيه تقرأ عشرين صفة من صفات القلب الموصول بالله.

٤ - وربك فكبر..

«آية الكرسي سياحة في رحاب الكمال والجلال»: كتاب يدعوك إلى سياحة في رحاب أعظم آية في كتاب الله.. ليقودك بعد التدبر والتفكر فيها إلى معرفة الله عزوجل بجلاله وعظمته وكبريائه وسلطانه ومن ثم الخُضوع والإستسلام والانقياد التام والمطلق له.

قريبا بإذن الله:

- **جنة الحياة:** «١٠ نسمات لتذوق السعادة الحقيقية».

الفهرس

لمن هذا الكتاب	3
نداء إلى قلبي الأسير	4
مقدمة	6
• التوبة.. ميلاد جديد	10
• شوقًا إلى الجنة	15
• الآن فهمت التقوي	21
• وفي الإقبال على القرآن لذة	25
• اسكُب عطر الإخلاص	31
• وبشر الصابرين	36
• سمعنا وأطعنا	40
• إستراحة إيمانية «١»	46
• وحانت لحظة الإنتصار	48
• فإنه يراك	52
• أمسك عليك لسانك	56
• وجنتك المحراب	62
• الدعاء أقرب طريق إلى العبودية	67
• إلى الأخلاق من جديد	72
• اكتشف الكنز الذي بداخلك	76
• إستراحة إيمانية «٢»	80
• الحرب على الكسل	82
• الوقت هو الحياة	87
• وحدة الأمة سبيل قوتها وعزتها	91
• فن البذل والعطاء	95
• ما أعظم عفوك يارب	99
• تذكر انقضاء العمر	103
• خاتمة	107